الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية-

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

الصراع الطائفي في الرواية العراقية

رواية "أخوة محمد" لميسلون هادي أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص:أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالبتين:

-أمزيان بشرى.

-حماشة تيزيري.

إشراف الأستاذ:

د.مسيلي الطاهر

السنة الجامعية 2020-2021

بسم الله الرّحمان الرحيم

دعاء:

«اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما... »

شكر و عرفان

أولا وما قبل كل شيء نشكر الله سبحانه و تعالى على فضله و توفيقه لنا و القائل في محكم التنزيل:

{ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ... } الآية 07 سورة إبراهيم

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذنا الفاصل **"الطاهر مسيلي"** لقبوله الإشراف على المذكرة وتعهده بالأمانة العلمية و التصحيح و التوجيه المستمر، رغم الظروف التي نعيشها، نسأل الله أن يطيل في عمره و يرزقه الصحة و العافية.

و نتقدم بأسمى عبارات الشكر لجميع أساتذة كلية الآداب و اللّغات كما لا ننسى أن نتقدم بكل احتراماتنا لكل من ساندنا في هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بالدعاء أو الكلمة الطيبة.

و في الأخير نحمد الله فقد كان عونا لنا طيلة هذا العمل.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى نبض أفراحي ولؤلؤة قلبي:

"أمي الحنونة" أطال الله في عمرها.

وإلى أبي من كافح من أجل إسعادي ونجاحي وسعى لإنارة حياتي:

"أبي الحبيب" أطال الله في عمره.

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة كبيرها و صغيرها.

إلى من امتزجت روحي بأرواحهن صديقاتي العزيزات أدامكن الله لي.

إلى كل من ساعدني في هذا العمل، وخاصة ذلك الشخص الذي كان بجانبي طيلة مشوار دراستي.

إلى شريكتي في هذا العمل المتواضع.

"تيزيري"

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من كان له بصمة في حياتي لكم كل الود و الإحترام إلى أسرتي الكبيرة بكل أفرادها.

إلى فلذة كبدي و قرة عيني "مايفا" أطال الله في عمرها.

إلى من ساندني وآزرني في دربي، زوجي الرائع" سمير" أطال الله في عمره.

إلى والدة زوجي حفظها الله، أكن لها فائق التقدير و الإحترام.

إلى أعظم شخصين" أبي" و "أمي" أطال الله في عمرهما.

إلى صديقاتي و رفيقات دربي حفظكم الله لي.

إلى شريكتي في هذا العمل المتواضع.

" بشرى "

مقدمة

تعتبر الرواية جنس من الأجناس الأدبية الأكثر حضورا في الساحة الأدبية في العصر الحديث، وهذا راجع إلى إمكانيات هذا الفن في احتواء كل جوانب الإنسان والعالم بلمسة خيالية تجذب القارئ إلى عالمها الغامض والواضح في الوقت نفسه.

والعرب كغيرهم من الشعوب تأثروا بهذا الجنس الأدبي، ورغم تأخر ظهور الرواية العربية إلا أنها استطاعت في فترة وجيزة أن تصنع هويتها وهذا ما لمسنه في روايات أشهر كتاب العالم العربي ،فالرواية العراقية جزء لا يتجزأ من الرواية العربية ، حيث نجدها وصلت في بداية القرن الواحد و العشرين إلى أوج نضوجها فغيرت في مسار إتجاهاتها و مواضعيها، فقد اتخذت من الاحتلال الأمريكي و الغزو و ما أحدثه من إنقسامات إجتماعية وسياسية ومذهبية مادة دسمة لها، حيث أصبح هذا اللون الأدبي العراقي يطرح مواضيع اجتماعية تحاكي واقع المجتمع العراقي بعد الحرب ويصور تفاصيل المعاناة النفسية و المادية التي خلفتها ويلات الاحتلال المستبد.

وللخوض في موضوعنا المعنون ب : **"الصراع الطائفي في الرواية العراقية"**، اعتمدنا على **رواية" أخوة محمد"** للروائية العراقية المعروفة **"ميسلون هادي"** كنموذج، فنص الرواية يقوم بإبراز ذلك الصراع الطائفي القائم بين" السنة والشيعة" في المجتمع العراقي، أما الرواية ترصد لنا تلك الوقائع والأحداث التي مرت بها العراق في تلك المرحلة.

ومن أجل ذلك قمنا بطرح الإشكالية التالية: **كيف صورت هذه الرواية الصراع الطائفي في العراق بعد الاحتلال الأمريكي؟ وماهي الآثار السلبيات التي خلفها؟**

وكان هدفنا من طرح هذه الإشكالية هو الوقوف على مضمون الرواية، ومعرفة كيف عالجت الرواية العراقية قضية الصراع الطائفي، فكانت رواية" أخوة محمد" نموذجا لدراسة تلك الصراعات، وكان اختيارنا لهذه الرواية يعود لعدة أسباب، نذكر من بينها:

- رغبتنا المتأصلة في الكشف عن ماتحمله هذه الرواية.

- كونها تتناول الواقع العراقي، كما وجدناها تصور هذا الواقع تصويرا دقيقا للقارئ وتجعله يستفسر عن تلك الأحداث ويتفاعل معها.

ولكي تكون دراستنا هذه مكتملة، ارتأينا تقسيم بحثنا هذا إلى تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

عنوننا **التمهيد"** بالصراع الطائفي والنص الروائي العراقي"، تطرقنا فيه إلى مفهوم كلا من الصراع والطائفية في اللغة والاصطلاح، ثم مفهوم الصراع الطائفي، وبعدها تناولنا البحث عن جذور الصراع الطائفي في الرواية العراقية، ثم عرجنا بعد ذلك إلى تجليات الصراع الطائفي في الرواية العراقية.

أما **الفصل الأول** فعنوناه ب (القناعة **العقائدية والتوجه الفكري للشخصية في رواية أخوة محمد)**، بدأناه (بمضمون الرواية)، ثم بعدها قمنا بدراسة أبرز الشخصيات الواردة في هذه الرواية: كالشخصيات الشيوعية والسنية وبعدها الشخصيات المسيحية.

وحمل **الفصل الثاني** عنوان (**زمن الطائفية واحتدام الصراع في رواية أخوة محمد)** وقد خصصناه لدراسة الإطار الزمني في هذه الرواية، فقسمناه إلى ثلاثة أقسام هي: الزمن الوقائعي وهو زمن وقوع الأحداث، و الزمن الفني الذي تداخلت فيه الأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل، وأخيرا إلى الزمن النفسي الذي يمثل في أحلام الشخصيات و طموحاتها.

وفيما يتعلق ب**الفصل الثالث** فقد عنوناه ب **(**فضاء **الصراع الطائفي في رواية أخوة محمد)**، وخصصناه لدراسة عنصر المكان فصنفناه إلى صنفين هما: أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة.

أخيرا أنهينا بحثنا هذا بخاتمة إستنتاجية، تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه.

ولكي تكون دراستنا ممنهجة ووافية و مؤطرة فإننا اتبعنا في ذلك المنهج الاجتماعي الذي تناسب مع طبيعة موضوع بحثنا، حيث يتناول ظاهرة إجتماعية ألا وهي الصراع الطائفي في الرواية العراقية.

وكأي بحث أكاديمي فإنه إعترضتنا جملة من الصعوبات أهمها :

- عدم عثورنا على دراسات مشابهة لهذا الموضوع، كما نجد أيضا قلة المراجع التي تتناول الموضوع خاصة بالنسبة للتمهيد وأيضا صعوبة الحصول عليها.

وأخيرا و في هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا **"مسيلي الطاهر"** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه العلمية القيمة والتي بفضلها استطعنا إنجاز هذا البحث.

تمهيد: الصراع الطائفي والنص الروائي العراقي

أولا: مفهوم الصراع.

ثانيا: مفهوم الطائفية.

ثالثا: مفهوم الصراع الطائفي.

رابعا: جذور الصراع الطائفي في العراق.

خامسا: تجليات الصراع الطائفي في الرواية العراقية.

أولا: مفهوم الصراع

ا- لغة:

ذكرت هذه الكلمة في معجم الوسيط إذا جاءت بمعنى «صرعه، صرعاً ومصرعاً أي طرحه على الأرض، ويقال: صرعته المنية ، وصرعت الريح الزرع، فهو مصروع وصريع. والباب: جعله ذا مصراعين.

ويقال: صُرع فلان: أصابه الصرع، فهو مصروع (صارعهُ) مصارعة، وصراعاً: غالبه في المصارعة»[1]. كما وردت هذه اللفظة أيضا في معجم الوجيز بمعنى:« (تصارع) الرجلان: حاول كل منها أن يصرع الآخر، و (المصارعة) هي رياضة بدنية عنيفة تجري بين اثنين حيث يحاول كل واحد منهما أن يصرع الآخر على أصول مقررة. و هي اسم جمعه من صراعات»[2].

وعرفه محمد التونجي أنه: «هو النزاع الذي يجري بين شخص وآخر، أو بين شخص وقوى أخرى، مما يدفع بالدراما إلى التفاعل الحاد، فالصراع هو المادة التي تبنى منها الحبكة، وقد يكون الصراع داخلياً في نفس الممثل»[3].

---

[1] مجموعة من المؤلفين بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، (ط1)، (1960)، ص(513).

[2] مجموعة من المؤلفين، معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع و النشر، القاهرة، (ط1)، (1989)،ص(363).

[3] محمد التونجي، المعجم المفصل، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)، (1999) ،ص(584).

ووردت هذه الكلمة في اللاتينية بمعنى: «عملية الضرب أو الطرق، وأما استخدامها في اللغة الإنجليزية القديمة تعني العراك أو الخصام»[1].

ب- اصطلاحا:

الصراع في أبسط مفهوم له هو:«حالة سببها تعارض حقيقي أو متخيل للاحتياجات والقيم والمصالح، يمكن أن يكون الصراع داخلياً (في الشخص نفسه) أو خارجياً (بين اثنين أو أكثر من الأفراد) »[2].

و يعتبر الصراع «شكل من أشكال التفاعل الشخصي الديناميكي المكثف بين طرفين أو أكثر، تربطهما علاقة اعتماد متبادل وهو نتيج عن بروز قدر من الاختلاف وعدم التوافق في الرأي، والمصالح والأهداف والتوجهات»[3].

و يرى (توماس وكليمان) أن« الصراع هو العملية التي تبدأ عندما يرى أحد الطرفين، أو يدرك الطرف الآخر أنه يعيق أو يحيط، أو على وشك أن يحيط اهتمامه»[4].

---

[1] إيـ مان موسى صافي:ظاهرة النزاع في المنظمات،مجلة معهد الإدارة العامة،الرياض،ع(20)،(1977)، ص(32).

[2]حامد علي أبو معمر: علاقات الاتصال الإداري بأساليب إدارة الصراع التنظيمي "حالة تطبيقية على مديري المدارس الحكومة في محافظات غزة"، رسالة ماجستير، إشراف د/فارس محمود أبو معمر، كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة،(2012) ،ص(51).

[3] المرجع نفسه: (ص ن).

[4]العميان، محمود سليمان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، (ط3)،(2005)، ص(363-364).

وأكد(كوسر) ، على أن «الصراع كفاح حول القيم والسعي من أجل المكانة والقوة، حيث بهدف المتصارعون إلى تحديد خصومهم أو القضاء عليهم»[1]

وفي الأخير نستنتج أن كلمة "الصراع" تحيل إلى الخلاف والنزاع والتصادم بين طرفين متخاصمين حول شيء معين، أو بين تنظيمين أهدافهما متعارضة، يكون فيه أطراف الصراع مدركين للتعارض فيما بينهم في الوقت الذي يرغب فيه كل طرف بالحصول على المركز أو الصلاحية أو القوة فيما يتعارض مع الموقف الآخر.

ثانيا مفهوم الطائفية

اـلغة:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة مايلي:طائفية مفردة: «اسم مؤّنث منسوب إلى طائفة "فتنة طائفية". مصدر صناعي* من طائفة وتعني: تعصُب لطائفة أو جماعة ذات مذهب معين، "من دُعاة الطائفية لا طائفية في الدين"، وهو وضع اجتماعي وسياسي قائم على التركيب الطائفي»[2].

[1] العميان،محمد سليمان ،السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال،ص(363-364).
*المصدر الصناعي : هو صياغة الكلمات الجامدة أو المشتقة بزيادة ياء مشددة و تلحقها تاء للدلالة على ما فيه من خصائص و الصفات أي أنه يحتوي على الصفات المنسوبة إلى الاسم مثل : العالمية منسوبة إلى العالم و الطائفية إلى الطائفة .
[2] أحمد مختار عمر،معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب للنشر و التوزيع،القاهرة،ط(1)، (2008)،ص(1423).

- كما ورد معنى هذه اللفظة في المعجم الوسط على النحو التالي:«الطائفية: التعصب لطائفة معينة (وهي كلمة محدثة)»[1]، وهكذا يقول المعجم الوسيط أن لفظة الطائفية بمعنى التعصب لطائفة معينة محدث وليس قديماً في اللغة العربية.

أما في المعجم الوجيز نجد أن الطائفة:« المجموعة من الشيء و جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأى يمتازون به، والطائفية: هي التعصب لطائفة معينة»[2] .

وعموماً فإن المعاجم العربية كانت دقيقة في شرح الأصل الدلالي للفظ، ففي موجب لسان العرب:«الطائفية من الطائفة والطائفة من الشيء: جزء منه»[3]، ومن خلال هذا نفهم أن الطائفة ليست الكل والكل لا يسمى طائفة في نظري لأن الكل ليس جزءًا ولا قطعة.

ب- اصطلاحا:

الطائفة في إطارها التقليدي هي« تعبير عن حالة انتماء محل القومية أو الوطنية» ، هذا المفهوم بين الطائفية على أساس الانتماء إلى الطائفة في مقابل الانتماء للوطن أي أن الطائفية نقيض للوطنية.

كما تعني هذه الكلمة «التعصب لجماعة، أي لطائفة من البشر، وتحديد الموقف من الآخرين، بعد تصنيفهم بموجب هذه الانتماءات، فاشتقاق طائفية في هذه الحالة يمائل اشتقاقي قبيلة وقومية، وما يوسم مذهبية في الوعي اليومي هو في الواقع طائفية، ولا يهم هنا إن كانت هذه الطائفية تعني تعصبًا لجماعة تابعة لمذهب أو دين، أي إن كانت طائفية مذهبية أو طائفية

---

[1] مجموعة من المؤلفين، معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة ،ط(4)، (2004)،ص(571).

[2] مجموعة من المؤلفين، معجم الوجيز، مجمع اللغة العربية،ص (397).

[3] جمال الدين محمد بن كرم إبن منظور، معجم لسان العرب، ج9 ، دار صادر، بيروت، (ط1)،(2005)،ص(160-161).

دينية فهي في الحالتين انتماء عصبوي إلى جماعة تجمعها رابطة العقيدة (وليس بالضرورة الإيمان بهذه العقيدة وممارستها)، ففي الطائفية عموما يتغلب التعصب للجماعة على التعصب للدين، وفي المذهبية والتدين يغلب التعصب للمذهب أو الدين على التعصب للجماعة، ولكن غالبا ما يتقاطع التعصبان»[1]؛ إذًا هناك فرق بين الحالتين أي بين التدين و التمذهب من جهة والطائفية من جهة أخرى، فالطائفية سواء كانت مذهبية أو دينية فهي في تلك الحالتين تعتبر طائفية تعصبية.

ومن المنظرين الذين تطرقوا لهذا المصطلح نجد "برهان غليون" الذي أكد في كتابه "المسألة الطائفية و مشكلات الأقليات" على أنها:« الاستخدام السياسي للدين، ثم يضيف في سياق آخر أن الطائفية هي التعبير السياسي عن المجتمع العصبوي الذي يعاني من نقص الاندماج الذاتي و الانصهار، حيث تعيش الجماعات المتخلفة بجوار بعضها البعض لكنها تظل ضعيفة التبادل والتواصل فيما بينها»[2]؛ لقد أعطى هذا الباحث للطائفية بعدًا سياسيًا، حيث أن التعصب لها ارتبط بوجود عدم التواصل وترابط بين الجماعات المختلفة، بما أن أفضى إلى تشكل مجتمع والتعبير عن نفسه سياسيًا.

وذهب "حسام كصاي" في تعريفه إلى أنها:« حالة نفسية قوامها شعور (المواطن) أنه إبن طائفته قبل أن يكون (مواطنا)، وشعوره بالتضامن مع أبناء طائفته والتباعد عن باقي

[1] عزمي بشارة، الطائفة، الطائفية الطوائف المتخيلة، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، (ط1) ،(2018)،ص (74).

[2] ماهر مسعود: الطائفية والطغيان بحث في المعنى و السلطة،(20 افريل2018) .
www.alaalam.org

مواطنيه»[1]؛ و نستشف من هذا المفهوم أن الطائفية هي حالة نفسية يشعر فيها الفرد بطائفيته قبل وطنيته، وبالتالي حالات التضامن والتعاون سوف تكون لأبناء الطائفة دون غيرهم.

وأكد عزمي بشارة على أن الطائفية هي« أتباع الدين أو مذهب معين لجماعة تمثل امتداد أو تواصلاً تاريخيًا وذات حدود إجتماعية، ولها باسمها (أكانوا علمانيين أو رجال الدين) يتكلمون عنها ويصوغون مصالحها بلغة التعايش والخصوصية مع جماعات أخرى»[2]؛ ومن خلال هذا نجد عزمي بشارة يقصد بالطائفية جماعة ذات توجه ديني، وأنها تلك الجماعة التي لها تاريخا له حدود ومبادئ إجتماعية فكانت بمثابة الأسس التي يعتمدون عليها لاستخلاص منافعهم وذلك باللغة التي تناسب التعايش مع الآخرين.

وأخيرا نستنتج بأن الطائفية مفهوم مركب ومعقد، فرغم شيوعه في الكثير من المجتمعات، إلا أن ارتباطه بالمنطقة العربية جعل منه أكثر تعقيدًا وتركيبًا، فهو مفهوم مركب لأنه يعبر عن ظاهرة متعددة الأبعاد، فهناك الطائفية الدينية والطائفية السياسية، أما من حيث كونه معقد فيعود لارتباطه بالكثير من المفاهيم الأخرى مثل: العرقية والأثنية والمذهبية وكذلك ارتباطه بالجوانب الثقافية والاجتماعية، والسياسية، والنفسية للفرد المكون للطائفة.

---

[1] حسام كصاي حسين الطائفية: صدمة الإسلام السياسي، أمواج للنشر والتوزيع، الأردن، (ط1)، (2015)،ص(21).

[2] عزمي بشارة وآخرون" المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير"، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والسياسية، المركز العربي للأبحاث و دراسات السياسات، لبنان، ع (3/11)،(2015)،ص(9).

ثالثا: مفهوم الصراع الطائفي

شهد العالم العربي و منطقة الشرق الأوسط نهاية القرن العشرين و بداية الألفية الثالثة، ما اصطلح على تسميته بالصراع الطائفي الذي كانت ورائه أسباب سياسية و أخرى تاريخية و عرقية مفادها من يسيطر على الآخر و يفرض وجوده ويهيمن على الساحة في البلاد.

لقد اتسمت الطائفية اليوم باتخاذها لوجوه و أشكال متعددة منها ما هو صراع بين مذاهب إسلامية كالحالة العراقية و البحرينية في الصراع(السني- الشيعي)، أو كحالة السورية و الصراع (السني- العلوي)، و الصراع المركب في لبنان مابين (المسيحي- الإسلامي) و(السني- الشيعي)، و الصراع (الإسلامي- القطبي) في مصر، و الصراع(الإسلامي- المسيحي) في السودان الذي أدى إلى تقسيمه إلى دولتين... كما أن الصراع الطائفي يمتد ليفرض سطوته على التنوع الأثني مثل الصراع (الكردي- العربي) في العراق و سوريا و الصراع(الأمازيغي-العربي) في دول المغرب العربي، كما نجد أيضًا صراع الدول العربية مع القبائل الإفريقية مثلما هو الحال في السودان، إضافة إلى ما تتعرض له الطوائف ذات الأقلية مثل: الإيزيديين و الشبك و التركمان في دولة العراق. وفي كل هذا لا يمكن تجاهل الصراع المركب المتمثل في الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والذي كانت وجوهه متعددة من دينية وأثنية و قومية[1].

و أخيرا يمكن القول بأن هذا المفهوم "الصراع الطائفي" متعدد الأوجه يمكن وصفه على أنه ذلك التصادم و التناحر نتيجة اختلاف عقائدي أو مذهبي وكذا أثني (عرقي) و قومي.

---

[1] ينظر: صادق الطائي، في الطائفية و الصراع الطائفي، القدس العربي،(24 نوفمبر،2015).
Http://www.alquds.co.uk

رابعا: جذور الصراع الطائفي في العراق

يأخذ الصراع الطائفي في الوطن العربي أشكالاً متنوعة منها الاختلاف العرقي الذي بدأت بوادره تلوح في الأفق في شمال إفريقيا، و أيضًا في سوريا و العراق (الأكراد و العرب) و لبنان و الصراع المسيحي الإسلامي.

«يعتبر التنوع الديني و العرقي ظاهرة عامة فَلَم يخلو منها مجتمع من المجتمعات، بل هي تُعد مصدر ثراء في المجتمعات المتقدمة، أما في بلداننا العربية و تحديدًا في المشرق العربي إذ تعد الطائفية هي مصدر التنظيم الاجتماعي الأهم فإنها ظلت و منذ تأسيس تلك الدول، و حتى اليوم مصدر التحدي الأهم للنخب و النظم السياسية»[1].

وهناك نوع آخر متعلق بالاختلاف العقائدي مثلما حدث في الحرب الأهلية اللبنانية بين المسيحيين و المسلمين بداية من سنة1975 إلى التسعينات، كما تجلى في هذه البلدان صراع من نوع آخر، خص الاختلاف المذهبي و هو ما حصل في العراق مؤخرًا بين السنة و الشيعة.

تعد العراق من بين الدول المتميزة بتنوعها العرقي و العقائدي و المذهبي، وكانت قد حدثت مؤخرًا فجوة عميقة بين السنة و الشيعة التي سببها التحولات الجيوسياسية و الاجتماعية و الثقافية المتعددة.

« أصبحت العراق ساحة صراع و تنافس كبير بين القوى الجديدة التي ظهرت في المنطقة، و خصوصاً القبائل التركمانية القادمة من وسط آسيا، ولهذا تناوب على حكمه دول عدة مثل الجلائديين و دولة الخروف الأبيض، و الخروف الأسود، ثم الصفويين، و كان العراق في

[1] شروق إياد خضير، الطائفية و إشكالية الهوية و الإندماج، المسألة الطائفية و صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 13، 14،15، سبتمبر 2014،ص(48).

كل هذا ساحة الصراع المفتوح لهم وصلت الحدود الشرقية للعراق مفتوحة للدول و الغزوات إلى دخول العثمانيين بغداد على يد السلطان سليمان القانوني و بداية مرحلة جديدة من تاريخه.

حكمت الدولة العثمانية العراق أربعة قرون تقريباً تناوبتها فترات ضعف و قوة، و كان أهم ما يميزها الصراع العثماني الصفوي، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية»[1].

مع أن النزاع الصفوي العثماني المستمر أدخل العراق في دوامة جديدة إلا أنه كان بداية تحديد الإطار الجغرافي للعراق الحديث و بداية رسم الحد الفاصل بين دولتين وكذلك بناء الصورة التي استقر عليها تكوين المجتمع العراقي بتركيبته الطائفية وامتدادها خارج الحدود، إن وجود العراقيين الشيعة وتداخل الولاء المذهبي مع إيران، والولاء للحاكم مع العثمانيين قد بدأ منذ تلك الفترة الزمنية، و ألقى بظلاله على العلاقة بين الحكومة والشيعة و هو تخوف العثمانيين وعدم ثقتهم برعاياهم الشيعة، خصوصا وأن الولاء في تلك المرحلة يقوم على أساس العصبة الدينية أو الطائفية العرقية وهو ما وَّلد مشكلة في التعامل سواء على المستوى الحكومي أو الشعبي.

ويجب أن لا تنسى أن «الصراع الطائفي كان موجوداً في العراق منذ صدر الإسلام و طالما شاهدت بغداد في العهد العباسي معارك بين السنية والشيعية سقط فيها الكثير من القتلى، صار أهل العراق لا يفهمون شؤون حياتهم لما بلغ الصراع أوجهه بين الدولتين الإيرانية والعثمانية سوى أخبار هذه الدولة أو تلك.

كانت أهم ميزات الفترة الملكية في حكم العراق هو التحالف الرسمي للمملكة العراقية مع بريطانيا و التي كانت مجبرة عليه بسبب وضع الانتداب ثم ارتباط المصالح لاحقا بعد رفع الانتداب، و ظهور الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية بوضوح مثل: التيار القومي والحزب

[1]أسعد سليمان، العراق: جذور الصراعات الداخلية، المعهد المصري للدراسات السياسية و الإستراتيجية، ملفات إقليمية،(4 ماي،2017)،ص(7).

الشيوعي، و كذلك التيارات الدينية (الإخوان المسلمين)والتي كانت تنادي بالإصلاح وعودة الخلافة الإسلامية، و برز أيضًا دور المراجع الدينية الشيعية وتأثيرها في المجتمع وخصوصًا بعد التغييرات التي حصلت في المجتمع العراقي في القرن التاسع عشر من زيادة نسبة سكان المدن والريف وتحول بعض القبائل إلى التشييع»[1].

كانت نتيجة شباب الشيعة الجديد الذين كانوا متأثرين بالثقافة الجديدة بالنسبة للإخوان المسلمين هو تأسيس حزب الدعوة الإسلامية فور سقوط النظام الملكي. «كان هناك حراك جديد بين الشباب الشيعي الجديد والمتأثر بالثقافة الجديدة والفكر التنظيمي للإخوان المسلمين، بدأ يظهر في الساحة، ولكن ليس بعيدا عن الحوزة الدينية أو مرجعية الطائفية، وكان نتاجه تأسيس حزب الدعوة الإسلامية بعد نهاية العهد الملكي مباشرة»[2].

عادت العراق مرة أخرى تحت الاحتلال الأمريكي وبدأ المعتدون الجدد بترتيب الأوضاع السياسية والاقتصادية، و دمرت معظم البنية التحتية، بدأ الغازي الجديد بترتيب الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد وخصوصًا و أنه قد تم تدمير البنية التحتية للاقتصاد العراقي وعمت فوضى عظيمة، ومع بدء الاحتلال «ظهرت حركة المقاومة العراقية الرافضة لوجوده وكانت الصورة البارزة لها أنها مقاومة ذات طابع إسلامي وتركزت أعمالها العسكرية في المناطق ذات المكون السني مع سكون واستقرار في المناطق الكردية والشيعية خصوصًا وأن النخب المسيطرة على هذين المكونين كانا مؤيدين وداعمين للاحتلال عند دخوله العراق»[3].

---

[1] أسعد سليمان ،العراق ،جذور الصراعات الداخلية ،بتصرف،ص(8-9) .
[2] المرجع نفسه ،ص(12).
[3] ينظر: المرجع نفسه ،ص(12).

بدأت الدولة تتشكل بيد أجنبية من خلال الحاكم المدني الجديد للعراق وفق نظرية المكونات العراقية (الشيعة العرب، و السنة العرب، الكرد، و الأقليات الأخرى) و تم تقسيم الشعب العراقي وفق الطائفة و العرق بنظام غير مسبوق في تاريخ حكم العراق، أدى في النهاية إلى التصادم خاصة بين السنة و الشيعة، إذا استغلت الطائفة الأخيرة دعم إيران لها من أجل القضاء على السنة و كبح جيَاحهَا، وهو ما حدث فعلاً باختلاف قضية الدواعش وانتهاء ذلك بما يسمى بثورة الحشد الشعبي التي وضعت حداً لتمدد السنة.

خامسا : تجليات الصراع الطائفي في الرواية العراقية

تعد الرواية من الأجناس الأدبية حديثة النشأة في العالم و على الرغم من ذلك فإنها احتلت مكانة عالية بموضوعاتها المتنوعة و المختلفة، وكانت النصوص الروائية العراقية بعد سنة2003 أكثر التحاما بالواقع، وما حمله من صراعات سياسية و إجتماعية لعل أهمها على وجه الخصوص الصراع المأساوي الطائفي الذي حدث بعد الاحتلال الأمريكي للعراق و ما حدث فيه من اقتتال دموي و تهجير، و تشريد و تبعات نفسية مؤلمة.

لقد شكل هذا النوع من الصراع مصدر للعديد من الأفلام الروائية في هذا البلد، حيث انعكس ذلك على الفضاء السردي العراقي و بنية النص التي بدت أكثر تشاؤما، فقد أسهم في انعدام التوجه المستقبلي الخلاق حتى بدت و كأنها رؤية توثق حالة التمزق العامة ،التي أحدثت شرخًا في النسيج الاجتماعي العراقي.

كما أن الانفتاح على التجارب العالمية أعطى الروائي العراقي حرية نسبية في تمثل أشكال الصراع الطائفي و الأسباب التي تقف خلفه، « ومن الروايات التي اتخذت من الصراع الطائفي ثيمة أساسية "رواية قياموت" للكاتب "نصيف فلك" وهي واحدة من الروايات الأكثر اهتمامًا في إشكاليات هذا الصراع اليومي، و صفت لنا الواقع السياسي و الاجتماعي و الثقافي بكل جوانبه، حيث يعلن الكاتب منذ اللحظة الأولى على لسان أبطاله سهامه النقدية للمنظومة

الدينية و السياسية التي لم تنتج سوى ثقافة الموت، و من العبارات الدالة على ذلك «جيوش على مدى البصر من عفاريت الأوس و الخزرج يصطفون على باب نومي يطرقونه بسيوفهم: جيش العرش و جيش السماء، و جيش الذَبّاحة و جيش العلاسة و جيش الصكاكة و جيش الخلفاء و جيش الحُلفاء، و جيش الجلفاء».

كما تمثل رواية "بوصلة القيامة" للروائي "هيثم الشويلي" لحظة شك و مراجعة و توثيق و أرشفة لمرحلة ما قبل التغيير بكل ما تحمله المرحلة من مشاهد و حشية و أساليب قمع و اضطرابات نفسية و إجتماعية، كانت مقدمة نتيجة لفترة مابعد التغيير يلخصها الكاتب في استهلال قصير و مكثف عن موضوع الرواية .(كل الروايات لم تكن أقرب من الخيال بقدر الحقيقة التي أصبحت شيئًا من الخيال في مملكة الجحيم) ، فالرواية تحكي قصة رجل تشبث بالحياة بقوة مقاتل، بعدما اكتشف أنه يملك ثلاث أمهات ورابعتهم الجدة، تقوم ثيمة الرواية على ثنائية(الأنا) المقموع، الطفل المواطن من أصول شيعية أما(الآخر) القامع من أصول سنية، الحاكم الطاغية و التي تعكس طبيعة الصراع الطائفي ما قبل و ما بعد، بكل دلالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية المتمثلة في ثنائية تتناسل منها ثنائيات على كبر مساحة الوطن.

إضافة إلى ذلك نجد رواية "فندق كويستيان" للروائي "خضير فليح الزيدي"، يسعى الكاتب إلى إعادة التذكير بنموذج التآخي ما بين هذه العينات مختلفة الانتماءات و التوجهات، التي تتجلى في رواية كتبها قبل أحداث التغيير(مخطوطة) وجاء ليطبقها في العراق لكن تنتهي بمحاولة قتل على يد المليشيات الطائفية و التي تحولت فيما بعد إلى اقتتال و تشريد و كره أعمى بين أبناء البلد الواحد.

كما نعثر أيضا على رواية "مثلث الموت" للروائي "علي لفته سعيد" ، تصور هذا الصراع الطائفي على شكل مثلث رأسه السلطة السياسية و أضلاعه المذاهب الدينية التي تسعى للاستحواذ على السلطة من خلال إعادة إنتاج صورة الماضي، تبدأ الرواية بوثائق تدين الكثير

من الوجوه السياسية و الدينية البارزة التي تحاول خلط الأوراق للفوز بالسلطة، لذا كان هذا الصراع يتخذ من المكان بؤرة مركزية. تبدأ رواية مثلث الموت بفك شيفرة الصراع عبر أحداث تجري في مثلث يقع ما بين بغداد و الحلة و كربلاء(المحمودية) يمثل عنوان الرواية العتبة الأولى "مثلث الموت"و الذي ينتهي في آخر عتبة للرواية و هي "الموت صناعة وطنية" و لو حاولنا فك شفرة هذه الدلالات سنجد أنها تأخذ شكل مثلث أضلاعه الثلاثة تشكل هرما رأسه المدبب يرمز للموت الطائفي و ضلعاه القائمة المتصلان بالرأس و القاعدة يمثلان الدين و الأحزاب السياسية و قاعدته هي الجماهير المسحوقة، الفاقدة لمصيرها و مستقبلها، و هو ما يرسم شكل العلاقة الخفي داخل الواقع الفعلي في العراق، و التي تقوم على أساس التنافس و الصراع الطائفي ما بين هذين المحورين(ديني \ سياسي) "إنه صراع الموت... الاحتلال بحاجة إلى موت و العنوان هو القتل..." »[1].

و أخيرا نجد هذا النوع من الروايات يتسم بمعايير جدية و مختلفة عن روايات ما قبل التغيير و التي تتخذ من الصراع الطائفي مكانة مركزية و تجعل له علاقة وثيقة بينه و بين الفساد الاقتصادي و المتغيرات السياسية التي طرأت على العراق بعد عام2003.

[1]ينظر: حيدر جمعه العابدي الرواية العراقية ما بعد 2003،(رواية الصراع الطائفي)،صورة السياسي و الديني الحوار المتمدن العدد: 5536-30/5/2017-(10:17) . Http://m.ahwewar.org .

الفصل الأول: القناعة العقائدية و التوجه الفكري للشخصية في رواية " أخوة محمد"

أولا: مضمون الرواية.

ثانيا: دراسة ابرز الشخصيات الواردة في الرواية.

1- الشخصيات الشيوعية.

2-الشخصيات السنية.

3- الشخصيات المسيحية.

أولا: مضمون رواية "أخوة محمد"

رواية "أخوة محمد" من تاريخ العراق المعاصر،امتدت بداية من الحصار الذي فرض في التسعينات،وحتى زمن الطائفية، تدور أحداث هذه الرواية عن المأساة التي عانى منها سكان الحي خلال فترة الحرب،انتقدت الروائية الواقع الحالي،و الإنسان العراقي الذي بالرغم من توفر المادة لكن الشوارع كانت مملوءة دائما بالقمامة، من بقايا علب المشروبات الفارغة، كما بينت تعايش الطوائف المختلفة بسلام لولا المحرضين الخارجيين.

لقد صورت الكاتبة العراقية" ميسلون هادي" على لسان الشخصية "أورشينا" الأحداث التي وقعت في شارع" أخوة محمد" و عن الصراع الطائفي المعاش في تلك الفترة، و ذلك بتقيدهم بمفاهيم خاطئة و مسببة للدمار، صورت الرواية الأزمة العرقية و المذهبية التي عاشها أهل العراق، و الإختلاف الواضح بين الديانات، لقد جسدت هذه الرواية تلك الأزمة في الصراع الطائفي و المواجهة بين السنة و الشيعة الذين طوقوا أجواء شوارع بغداد بتعاليمهم المستبدة من الدين، غير أن الروائية وجدت مجالاً متنفسًا بين شخصيات الرواية.

الفتاة الثلاثينية أورشينا ذات العرق الشيوعي تسكن في شارع" أخوة محمد"، لما انتقلت الكاتبة "ميسلون" للعيش بذلك الحي، عرفت بأنها روائية،و طلبت منها أن تقرأ أول رواية لها.

بالنسبة لشخصيات الرواية يمكن إدراجها ضمن ثلاث مذاهب مختلفة،يتمثل كل مذهب بشخصيات خاصة به،فمن الشخصيات التي مثلت المذهب الشيوعي نجد أورشينا و هي الراوي العليم لهذه الرواية ، وهي جارة الأستاذة ميسلون التي زاولت الكتابة و تعلقت بها لملأ فراغها، ظلت دائما تطلب من الروائية أن تقرأ روايتها،و تبدي لها بعض الملاحظات حتى وافقت ميسلون على ذلك ، وصفت شارع "أخوة محمد" بكل ما كان يحمله من صفات ، تعدد أصحابه و كانوا يحملون كلهما اسم "محمد" لذلك قامت بتسمية أول رواية لها " بأخوة محمد " ، "أورشينا" من والد شيوعي و أم شيوعية أيضا لها أختان متزوجتان "انابيل"و "ايلانا" .

ويأتي بعد هذه الشخصية الطفل عباس وهو كذلك من نفس المذهب ,فهو بستاني، كان يعمل بتشذيب الأشجار بذلك الحي لم يكن مبال بشيء ، كان يمرح دائما رفقة صديقه سفيان ذو المذهب الأخر، فبالرغم من الاختلاف المذهبي إلا انه كان هناك تعايش بينهما ،وكذلك شخصية أم سفيان كانت من ممثلي المذهب الشيوعي وهي ساكنة بنفس الحي .

أما المذهب الثاني وهو المذهب السني ومن الشخصيات التي كانت بارزة فيه وقامت بتمثيله نذكر شخصية"سفيان" وهو الطفل البستاني الأخر صديق عباس وهو أيضا كان يعمل بتشذيب حدائق الحي ، كان ذكيا و مساعد لأسرته، ومحبوبا عند كل أهل ذلك الحي ، كانا عباس وسفيان معروفان بمرحهما في هذه الحياة الطويلة، كان كلما مرت بها فتاة تأملها جيدا أو نظرة إلى بعضهما البعض.

إلى جانب شخصيات أخرى مثلت هي أيضًا هذا المذهب ومنها الشيخ الراقي محمد، وطبيب المشرحة، محمد الصباغ ورفاقه،جعفر، والخال عدنان وزوجته كلها شخصيات كانت مساهمة في صناعة الحدث.

وهناك مذهب ثالث وأخير وهو الذهب المسيحي، كان في ذلك الحي بعض من السكان المسيحيين المهاجرين، كانوا يبحثون عن السلام، ومن بين الشخصيات التي مثلت هذا المذهب ماريا وهي صاحبة البيت التي اشترته الأستاذة ميسلون ، زوج ماريا متواجد بالعراق ، حيث كانت ماريا شخصية حنونة لطالما تعلقت بشارع "أخوة محمد" ، و بالطفلين سفيان و عباس، زوجها متسلط بعض الشئ فهو يمقت الفقراء و المساكين، كانت ماريا تقدم بعض الملابس و الطعام للطفلين و تزيدهما في الأجر في بعض الأحيان و هكذا تستيقظ ماريا كعادتها على رنين الموبايل، لتفتح الباب لسفيان، ليرتب لها حديقتها. لماريا أم مسيحية أيضا وهي تدعى "نيلوفر" و هي راهبة، كما نجد أيضًا شخصية أنهار المسيحية وهي ابنة أخت ماريا كانت تزور خالتها هي و أختاها "أسرار" و" أفكار" تعلق سفيان كثيرا" بأنهار" وأعجب بها و في يوم من الأيام سقط منها قرطها الذي ورثته من جدتها فوجده سفيان واحتفظ به.

مرت الأيام وكبر الطفلان ،" عباس" يزاول مدرسته أما" سفيان" فكان يساعد أمه يجمع المال بعدما غاب أخواه الاثنين ماريا تتحدث عن قناعتها بأولاد الحدائق، وعن شغفهم بهذه الحياة كانوا ناشطين جدا في عملهم ولم يهتموا بالحرب ومجالات الاختطاف التي كانت تحدث، فقط اهتموا برنات الموبايلات الحديثة والموسيقى الجديدة تحدثت أيضا عن انزعاجات سفيان في الصباح الباكر.

إن الحرب كانت سببًا في هجرة الكثير من سكان الزقاق بحثًا عن الأمن و السلام ، فبسببها قاموا بتسفير التبعية الإيرانية وهَجر الكثير إلى إيران ومن بينهم "محمد الكردي".

وهكذا مرت الأيام وتزاولت الأحداث إلى أن اشتدت الحرب وعمّ الخوف والذعر في حي أخوة محمد، وحدث ما حدث اختطف عباس وسفيان ولم يظهرا سأل عنهما الجميع وحزنت ماريا و أورشينا عليهما كانت ماريا تسأل مدير المشرحة كلما مرّ بجانبها ما إن استقبلوا جثث أطفال صغار لكنهم لم يفعلوا ذلك.

ومرت قضيتهما في سكون تام، اختطفا طفلان من قبل جماعة لم يعرفا ما إن كانت سنية أم شيعية وشعر بالخوف واستمر الحال عليهما لمدة أسابيع... وفي الأخير وبعد مرور20 عاماً ظهر أحدهما حيث لقب نفسه بمحمد... سأل عن الشارع وعن أهله فالبعض هاجر والبعض الأخر بقي فيه وإذا بمحمد يلتقي بأنهار فتبادل أطراف الحديث لكن الروائية" أورشينا" تركت النهاية مفتوحة.

وبخصوص الزمن الروائي فيتمثل في الزمن الماضي وذلك بين الذكريات الصعبة والجميلة منها ولم يرد كثيرا الزمن الحاضر والذي حمل التجربة التي عانى منها كل شخصيات الرواية،أما الزمن النفسي في هذه الرواية يرتبط بالحلم و الأمل أن تعود الحياة إلى طبيعتها و ذلك بانتهاء الحرب.

يعتبر شارع "أخوة محمد" هو المكان الوحيد الذي مرت فيه كل أحداث الرواية حيث، تناولت الروائية فيه الوصف والتشخيص لعدة أماكن منها المفتوحة كالحدائق والشوارع، و المغلقة كالبيت و الجامعة، فقد كانت كلها مساهمة في سرد أحداث الرواية و بنائها.

لا يخلو أي عمل روائي من شخصيات تقوم بلعب أحداثه، فمفهوم الشخصية يمثل عنصراً محورياً في كل سرد «حيث لايمكن تصور رواية بدون شخصيات، ومن ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية، و مع ذلك يواجه البحث في موضوع الشخصية صعوبات معرفية متعددة، حيث تختلف المقاربات و النظريات حول مفهوم الشخصية»[1]؛ تعددت المفاهيم حول هذا المصطلح ففليب هارون يرى بأنها «ليست مفهوماً أدبيًا محضاً و إنما هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص، أما وظيفتها الأدبية فتأتي حين يتحكم الناقد إلى المقاييس الثقافية الجمالية»[2]

و لذلك تعتبر الشخصية ركناً أساسيًا من أركان الرواية، و هي أيضًا تعمل كمحرك أساسي للعمل الروائي فهي القطب الذي يتمحور حوله الخطاب السردي، وأهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الأحداث «حيث تلعب الشخصية دوراً رئيسياً و مُهما في تجسيد فكرة الروائي و هي من غير شك عنصر مؤثر في تسيير أحداث العمل الروائي»[3] ؛و من هنا فالشخصية تعد من أهم مكونات النص السردي، لما تضفيه على الأحداث من حركة و سيطرة في الآن نفسه، فهي تلعب دورًا كبيراً في بناء الرواية.

[1] محمد بوعزة :تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم ، الدار العربية للعلوم، ناشرون، الجزائر، (ط1)، (2010)،ص(39).

[2] أحمد شريبط: الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف د\محمد مصايف، معهد اللغة و الأدب العربي، جامعة الجزائر(1986-1987) ، ص(37).

[3] نصر الدين محمد: الشخصية في العمل الروائي ، مجلة ،دار الفيصل الثقافية للطباعة العربية ، السعودية، فيصل (ع37)،(جوان 1980).

ثانيا: أبرز الشخصيات الواردة في رواية" أخوة محمد"

لكل رواية شخصياتها الخاصة بها، و التي تساهم في بنائها، حيث لا يمكن للكاتب أن يستغني عليها «لأنه لايمكن أن يصور حياة من دون أشخاص يتحدثون و يفعلون، و تعدد شخوص العالم الروائي بقدر تعدد و تشابك الأفعال و الأفكار»[1]

فرواية" أخوة محمد" جاء فيها السرد على لسان الشخصية المحورية و الفاعلة و هي "أورشينا" الفتاة الثلاثينية التي تسعى جاهدة وراء الكاتبة العراقية ميسلون محاولة سرقة عزلتها منها لكي تقرأ أول رواية لها، تدور أحداث الرواية على لسان هذه الشخصية، حيث تسرد لنا يوميات شارع" أخوة محمد" و عن الاختلاف الطائفي المُعاش، بالإضافة إلى شخصيات أخرى كانت مساهمة أيضًا في أحداث هذه الرواية مع العلم أنها ذات مذاهب مختلفة.

1-الشخصيات الشيوعية :

1-1- شخصية" أورشينا":

اتخذت الروائية العراقية المعروفة" ميسلون هادي" شخصية الفتاة "أورشينا" كشخصية الراوي العليم الساردة للأحداث لإيصال أفكارها إلى القارئ.

شخصية "أورشينا "مثال للشخصية الواعية المثقفة، فهي فتاة في الثلاثين من عمرها، من والد شيوعي، تسكن بالزقاق الذي انتقلت الكاتبة ميلسون للسكن فيه، شخصيتها شغوفة مليئة بالحركة، كانت تكتب أول رواية لها و لما عرفت بأن ميسلون كاتبة أيضًا طلبت منها أن تقرأ لها و تبدي لها بعض الملاحظات، فنشأت بينهما علاقة ، كانت روايتها تحت عنوان" أخوة

---

[1] إدريس بودیبة: الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، شركة أشغال الطباعة، قسنطينة ، الجزائر،(ط1) ،(2000) ،ص(85).

محمد" نسبة للشارع الذي كان يحمل معظم سكانه هذا الاسم. في بداية الأمر رفضت ميسلون أن تقرأ روايتها لأنها معروفة بالعزلة فتقول:« وضعت خطة محكمة مع نفسي لكي لا أتحث معها... بحيث أجعلها تختفي من الوجود...»[1]

لكن" أورشينا" لم تستسلم و واصلت تُحدّث ميسلون عن روايتها «بدت سعيدة جدا بهذا المنصب الذي منحته لنفسها و شرحته بأفضل مما توقعت...»[2] ، فتساءلت الأستاذة ميسلون ما إن كانوا يحملون حقا كلهم إسم محمد، فشعرت ببعض الفضول و قررت أن تقرأ روايتها قائلة:« أورشينا هات روايتك لكي أقرأها»[3]

و من هنا يتضح لنا نسب أورشينا فهي ذات عرق شيعي نسبة لوالدها ، فمن خلال الرواية ذكرت لنا أن والدها شيوعي قائلة:« والدي كان شيوعيا...»[4] توفي في عز شبابه، و لكنها مازالت تعيش مع أمها.

1-2- شخصية" أم سفيان" :

هي الأخرى كانت ذات عرق شيوعي متزوجة من رجل ذو عرق سني و يظهر لنا ذلك من قراءتنا للرواية فلما خُطف سفيان خاطب الخاطف قائلا: "أنا أبوية سني و أمي شيعية"[5] ومن هنا يتضح لنا بأنه هناك اختلاف عقائدي فيما بينهم .

[1] أخوة محمد : ص (15).
[2] المصدر نفسه:ص(47).
[3] المصدر نفسه:ص(48).
[4] المصدر نفسه:ص (24).
[5] المصدرنفسه: ص(189).

1-3- شخصية "عباس":

هذا الاختلاف أيضا يظهر على شخصية عباس، فهو من والد شيوعي و أم سنية إذاً فهو شيوعي قائلا: «أبوه شيعي و أمه سُنية...»[1] لكن هذا الهراء لم ينقذه هو و صديقه من الخطف، فلو كان الخاطف سنيا فلما قتل "عباس" «المفروض أن يقتل عباس إذا كان الخاطف سنيا...»[2]

وهذا دليل على أن هناك اختلاف في العقائد بين الشخصيات في روايتنا.

2-الشخصيات السنية:

2-1- **شخصية "سفيان"**:

جسدت شخصية "سفيان" الطفل البستاني في الرواية، حيث كانت معظم الأحداث تدور حوله فهو صديق عباس عاش فترة طفولته بتشذيب الأشجار و ترتيب الحدائق في زقاق" أخوة محمد"، لم يكن مبال بفترة الحرب في ذلك الوقت، فقد كان يمرح و يتجول رفقة صديقه عباس، سفيان من أم شيعية و أب سني كما ذكر قائلا :«أنا أبوية سني و أمي شيعية»[3]، و هنا أيضاً يظهر الاختلاف العقائدي.

كان سفيان يساعد إحدى زبونات ذلك الحي في تشذيب حديقتها، حيث كان يعيش مع أمه و أخته خديجة و أخوه محمود المنغولي، أخوه عثمان في السجن وأخوه صباح سافر ، واصل عمله بالحدائق و كان يساعد أمه بالرغم من أنه لم يواصل دراسته لكنه كان ذكياً، في كل صباح

[1] أخوة محمد:ص(189).
[2] المصدر نفسه:(ص ن).
[3] المصدر نفسه: (ص ن).

يركب دراجته و يتوجه إلى عمله ، قائلا: «لا أعرف ماذا أفعل بعد صلاة الفجر فأركب البايسكل و أطلع للشغل»[1]

أعجب سفيان بفتاة رآها في بيت زبونته، كانت اسمها أنهار بالرغم من تزيد المشاكل لكن الحياة تبقى مستمرة و يواصل سفيان عمله فلا مبال بويلات الحرب، كان عنيدًا و لكن صاحبة البيت قررت أن تتظاهر بارتياحها لزياراته المبكرة ، لم تكن الحرب ضمن همومه هو و رفاقه عباس و جعفر فقد كانوا يتمازحون طوال الوقت و يسخرون من ضحكة جعفر العالية. لكن مع مرور الوقت و مضي الأيام زادت شحنة الحرب و« أصبحت صور رجال الدين تملأ الأعمدة...»[2] و حدث ما حدث فخُطف كلاً من عباس و سفيان واختفيا عن النظر، حلَّ الخوف و الذعر بالشارع و عمَّ الصمت و تساءل الجميع عن عملية خطفهما لأنهما كانا محبوبين لدى الجميع، عانت أم سفيان حزينة كثيرا لأنها لم يبقى لها سواه كآخر عنقود بعد غياب أخويه، و تشاءمت كثيرا صاحبة البيت و أصبحت تتساءل طبيب المشرحة إن استقبلوا جثث فتيان صغار بالمشرحة قائلة« وجدت نفسي أسأل طبيب المشرحة و أنا أبكي هل استقبلتم جثث فتيان في هذه الأيام الأخيرة»[3]

كانت شخصية سفيان مذكورة كثيرا في روايتنا حيث استطاع أن يلعب دور الفتى الذكي و المجتهد في عمله .

بالإضافة لهذه الشخصية هناك شخصيات سنية أخرى ذكرت في الرواية لم تكن مساهمة كثيرا في تحريك الأحداث غير أنه ظهر لها وجود كشخصية" محمد الصباغ و رفقائه" فهم

---

[1]أخوةمحمد:ص(74).
[2]المصدر نفسه:ص(99).
[3]المصدر نفسه:ص(150).

جماعة من الصباغين أعمارهم متقاربة بقيت الحياة مستمرة عندهم بالرغم من الحرب، كانوا كلما مرُّوا بالشارع يغنون أغنية العقربة و كل ذلك الغناء يلعنون به الحرب.

كما نجد شخصية الشيخ" محمد الراقي" و هو شيخ مسلم يعيش بالحي كان يعاتب كثيرا جماعة محمد الصباغين عن لبسهم لشورطات قصيرة لم تكن شخصيته كثيرة الذكر، وكذلك الجارة "أم أدهم" صاحبة أحد المنازل في ذلك الحي معروفة بنظافتها، و كذلك الطفل "جعفر" الملقب ببابا غنوج و هو صديق مقرب لسفيان معروف بالضحك اللا متناهي، كلما مرت فتاة بجانبه إحمر وجهه ، عانى" جعفر" كثيرا بعد اختطاف" سفيان و عباس" و أصبح حزينا على فراقهما و ما يدل على ذلك نجد هذا المقطع:«مر جعفر حزينا لا يضحك، فعرفت الجواب قبل أن ينطق بالسؤال أين سفيان؟... سفيان صارم له أسبوعين ماكو؟»[1]، كان جعفر المخبول خفيف الظل.

بالجانب إلى شخصية "محمد ناهي أبو فرات" و جاره "محمد راضي أبو زمان "كانا يتعاركان بسبب المتر الواحد وظل نزاعهما مستمرا حتى وصلت إلى المحاكم و القضاة.

إضافة إلى شخصية "الحجية" جدة سفيان، شخصية حنونة كانت تبخر سفيان وإخوته خوفا عليهم من الحسد والعين و لكنها توفيت بعد فترة.

كما برزت قليلا شخصية خال سفيان "عدنان" و زوجته "لينا" وهما زوجان عقيمان لاينجبان الأطفال، كانوا يحضرون الهدايا لسفيان و إخوته كلما قام بزيارتهم.

و شخصية" بشار الميكانيكي" كان يصلح السيارات في ذلك الشارع، لم يكن له دور كبير في صناعة الحدث لأن شخصيته لم تذكر كثيرا.

---

[1] أخوة محمد: ص(146).

كما نجد شخصية طبيب المشرحة" محمد عبد الكريم "وهو مدير المشرحة كان يغير اسمه و توقيعه وشكله بين كل فترة وهذا خوفا من الحصار و من الفتنة التي كانت قائمة آنذاك.

كما نصادف في هذه الرواية حضوراً وتصويراً للتنوع العرقي الذي تجسد في شخصياتها، و منها الغير مذكورة كثيرا" كالحاجية" أم" محمد الصباغ"، و كذلك "علياء" و أخوها وأمهما و هكذا عاشوا في حي واحد، واستطاعت الروائية أن توصل لنا فكرة الإختلاف المذهبي بين هذه الشخصيات وذلك من خلال صفات كانوا يحملونها بينت ذلك.

3-الشخصيات المسيحية :

3-1-شخصية" ماريا":

"ماريا "هي امرأة في الخمسين من عمرها صاحبة البيت الذي اشترته الأستاذة" ميسلون" و هي مسيحية، تحدثت" أورشينا" كثيرًا عن هذه الشخصية وعن علاقتها بـ "سفيان" و "عباس"، "ماريا" من أم مسيحية إسمها "نيلوفر" وهي تعمل كراهبة في الدير. فتقول:«هذا هو لقب أمي"نيلوفر" التي خدمت في دير مارمتي شفيع الكنيسة في الموصل ، مع الراهبات اللواتي كرسن حياتهن للأعمال الإنسانية و ترميم البشر...»[1]

"ماريا" متزوجة و لها ابن اسمه يوسف وهو يواصل دراسته، زوجها اسمه "عبد الملك" وهو مسافر خارج العراق وهو معروف بتكبره على الفقراء فهو يبغض معيشة الفقر كانت تلقبه باللورد "عبد الملك"، وهو حاليا مستقر بمصر و ينتظر من" ماريا" اللحاق به و الابتعاد عن أجواء الحرب المندلعة ، لكن شخصية " ماريا" متفائلة جدا بزوال هذه المحنة و عودة أجواء الأمن و الطمأنينة بشوارع بغداد فهل يا ترى ستعود حقا تلك الأجواء؟؟؟

[1] أخوة محمد:ص (156).

كانت" ماريا" تزورها ثلاث فتيات و هن بنات أختها الملقبة أيسر " أسرار أفكار و انهار" كانت أسماؤهم غريبة وفي نفس الوقت جميلة، لها أختان متزوجتان " ايلانا و انابيل ".

لم يكن لهذه الشخصيات دور كبير في لعب الحدث و تحريكه سوى " انهار" وهي شابة جميلة أعجب بها الفتى سفيان ففي أحد الأيام سقطت منها قرطها و احتفظ به سفيان و بعد مرور عشرين عاما التقيا و قام بإرجاعه لها، لماريا أخت أخرى و هي مسيحية أيضا تعمل كراهبة مثل أمها فتقول: «أختها أيضا ترهبنت في الدير فترة من حياتها و كرست الحياة كلها لله...»[1]

نلاحظ من خلال شخصيات هذه الرواية الاختلاف العرقي الواضح بين السنيين و الشيوعيين بالإضافة أيضًا إلى اختلاف الديانات فقد ضم هذا الشارع حتى المسيحيين منهم بالإضافة إلى شخصية" ماريا الثانية" كما سماها سفيان لكونها تشبه" ماريا" في شعرها وهي امرأة كانت تعمل في صيدلية مجاورة لذلك الحي ،كانت تحمي سفيان من أحد ركاب سيارة التاتا وهو أحد المخنثين كان يتحرش بسفيان كلما صعد معه .

فإن" أورشينا" من خلال شخصياتها استطاعت أن تتناول أبعاد ذلك الصراع العقائدي و التنوع الفكري المتصل و المتعلق بكل شخصية ، أما الصراع الطائفي في الرواية فقد دار في الواقع الاجتماعي المعاش ،وقد تحركت معظم هذه الشخصيات وفقا لمذاهبها العرقية التي كانت كل منها تنظر إلى الحياة حسب وجهة نظر معتقداتها وذلك من خلال العلاقة الموجودة بين الشخصيات.

[1] أخوة محمد:ص(156).

الفصل الثاني : زمن الطائفية و احتدام الصراع في رواية "أخوة محمد"

أولا: الزمن الوقائعي

ثانيا: الزمن الفني

ثالثا: الزمن النفسي

لا يختلف اثنان حول العلاقة القائمة بين الرواية و الزمن ، فالرواية تعتبر فن زمني بامتياز، وهذا راجع إلى أن الزمن هو العنصر الأساسي في نسّج الأحداث و وترابطها سواءً كان هذا الزمن السردي واقعي أو خيالي ، إذّ نجده يقوم بتسهيل العملية القرائية للقارئ لكي لا يشعر بأنه يدور في حلقة مفرغة ليس لها بداية ولا نهاية ، فهو الذي يحدد بداية و نهاية كل حدث ،«فهو جوهر الرواية ، وطريقة بنائه و بالتالي تربط شكل النص الروائي ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن»[1]؛ فمنه نؤكد على فكرة استحالة فصل الزمن عن الرواية ، لكونه يربط عناصرها ببعضها البعض ، و بمرور الزمن تتكشف و تظهر بُنى النص المُشّكلة لها .

ومن خلال ما سبق ذكره ارتأينا إلى تقسيم الزمن في رواية " أخوة محمد" إلى ثلاثة أقسام ألا وهي : الزمن الوقائعي، و الزمن الفني الذي تداخلت فيه الأزمنة الثلاثة :(الماضي و الحاضر و المستقبل)، و أخيرا إلى الزمن النفسي.

أولا: الزمن الوقائعي:

إنّ الزمن الوقائع « متعدد الأبعاد في الوقت الواحد أحدثا عدة »[2]؛ إذاً الزمن الوقائي هو زمن حقيقي لوقوع الأحداث. كما يحمل في ثنياه أشكال متنوعة.

و يتجسد الزمن التاريخي في النص الروائي في «صور مختلفة منها استخدام الوقائع التاريخية التي تقع في الفترة الزمنية التي اختارها المؤلف إطاراً لروايته معالم الطريق يستطيع القارئ أن يتعرف عليها كوسيلة للواقع الخارجي في النص التخيلي و هذا ما يسميه رولان بارث" effetreel "الإيهام بما هو حقيقي»[3]؛ وعليه نستشف من هذا القول أن الزمن التاريخي في الرواية يقوم بتحديد الإطار الزمني للأحداث التاريخية و هذا ما يسهل للقارئ عملية القراءة و استيعاب العالم الخارجي.

و يتجلى الزمن الوقائعي في رواية" أخوة محمد" فيما يلي:

---

[1]مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية ،(1960- 2001) ، أطروحة دكتوراه الجامعة الأردنية ، مجلة إبتسامة ، نسخة منسقة ، (2002)، ص (29).

[2]يمنى العيد : القصة القصيرة و الأسئلةالأولى ، (اللغة،الأدب ، الإيديولوجية)، دراسات في القصة العربية ، وقائع أدباء ندوة مكناس ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان ، (ط1) ،(1986) ، ص (28).

[3]سيزا أحمد قاسم:بناء الرواية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،مصر،(د ط)،(1984) ،ص (48).

«عندما نستيقظ قبل الفجر بقليل سنجد الظلام يتحول إلى ضوء يتدرج نكاد لا نشعر به... هوب... فجأة أمام أعيننا كل الضوء»[1] ؛يحيل هذا القول إلى ظاهرة تعاقب الأيام، و سرعة مرور الوقت ، و ذلك من خلال تحول الظلام إلى ضوء في بضع ساعات.

كما نجد ورود لهذا الزمن في قول الروائية:«ما إن يأتي المغرب حيث يبدأ الصراخ...و يرتفع العويل بشكل مخيف يتناقض مع سكون الزقاق في أوقات النهار... كثافة السكان تبدو فيه معدومة ...»[2]؛ أما في هذا الحدث نجد الروائية تصف لنا الحالة أو الواقع اليومي الذي يعيشه الزقاق، و الذي يتحول من نهار هادئ إلى ليل مخيف و مفزع ،فزمن وقوع هذا التحول كان مع بداية المغرب.

و أيضا قولها: « لقد كنت أنتظر السائق الذي يوصلني إلى دار الإذاعة في الساعة السابعة و النصف صباحا، و عندما تأخر السائق توجست خيفة، فقررت العودة إلى البيت ريثما يأتي السائق و في الطريق تعرضت إلى إطلاق نار...»[3]؛ أما هنا فالراوية تشير إلى زمن وقوع الحدث المتمثل في إطلاق النار عليها عندما كانت في طريقها إلى مكان عملها.

كما نجد أيضا قول سفيان :«ظلت قلقة تؤكد علي بالعودة في وقت النهار لأنها تسمع الكثير من حوادث الخطف وقت الغروب»[4] ؛يشير هذا المقطع إلى زمن الخطف المتمثل في وقت الغروب، فصفيان يتحدث هنا عن أمه التي تخدره من الخروج في مثل ذلك الوقت و تؤكد عليه بالعودة في النهار إلى البيت .

ورد أيضا الزمن التاريخي في قول الروائية: « أبو خلدون مات يوم أمس و بابكم مفتوحة على مصراعيها منذ الصباح الباكر...»[5] فزمن وقوع الحدث في هذا المقطع يتمثل في زمن موت ابن خلدون و الذي كان يوم أمس، و زمن فتح الباب و تركها مفتوحة منذ الصباح.

---

[1] أخوة محمد:ص (17).
[2] المصدر نفسه:ص (33).
[3] المصدر نفسه :ص (26).
[4] المصدر نفسه: ص(77).
[5] المصدر نفسه: ص(83).

تواصل الروائية في إشباع روايتها بعنصر الزمن الوقائعي و يتضح ذلك من خلال قولها: «قضى سفيان الليل في خوف مستمر ينتظر انقلاب الدنيا...وكان الخوف يتحول إلى ذعر مع كل طبة يسمعها و تجعله يفز من النوم...»[1]؛ هنا قد اتضح لنا زمن وقوع الحدث في الليل و ذلك من خلال خوف سفيان و قضاءه ليلة كاملة على هذه الحالة ، عاجزًا عن النوم بسلام .

و هناك ذكر أخر للزمن الوقائعي في قول سفيان :«...وفي الصباح تلفي رؤوسنا من القمل تحت الشمس »[2]؛ من خلال قول سفيان تبين لنا زمن وقوع الحدث في الصباح أين تلفي أمه لرؤوس أولادها من القمل في هذا الوقت .

و تجلى أيضا هذا النوع من الزمن في هذه الرواية فنجده يتبين من خلال هذا المقطع السردي : «وفي كل وقت يتعارك أبو فرات مع جاره محمد راضي أبو زمان من أجل شيء نجهله ... و الدنيا تمتلئ بصراخه في الصباح و الضحى ووقت الغذاء...»[3]؛ هذا المقطع يشير إلى زمن وقوع الحدث ،أي حدث الشجار بين أبو فرات و جاره ، فتعدد زمن الشجار بين الصباح و الضحى و الغذاء أي في كل وقت يقوم الشجار بينهما.

كما نجد أيضًا ذكر لهذا الزمان :« كل الأيام أصبحت تبدو و كأنها يوم جمعة ... لا آن و لا دان... فقط كنا نعود باكرين و تكون الساعة الثانية ظهرا هي الموعد النهائي للرجوع إذا أردنا النجاة بأنفسنا من المخاطر»[4]؛ يحيل هذا إلى أحوال الزقاق التي يصفها لنا سفيان خلال أيام الحرب، حيث شبها طلية أيام الأسبوع بيوم الجمعة و هذا بسبب فراغ الزقاق من أهله، كما حدد زمن العودة لمن أراد النجاة بنفسه و المتمثل في الساعة الثانية ظهرا.

«تبدأ أم أدهم يومها في الساعة الثالثة من منتصف الليل، وتخرج لرش الدرب بعد أن يستعصي عليها النوم...»[1]؛ فالزمن الوقائعي هنا يتضح من خلال قيام أم أدهم على الساعة الثالثة من منتصف الليل لتبدأ عمل يومها بعدما يتعسر عليها النوم.

---

[1]أخوة محمد:ص(87).
[2]المصدر نفسه :(93).
[3]المصدر نفسه: ص(112).
[4]المصدر نفسه:ص(127).

و يتضح أيضًا لنا الزمن الوقائعي في قولها :«بعد خمس سنوات من الحرب ... فلا تزال مسيحيو حي الساعة يفرون إلى القرى المجاورة خوفا من الهجمات التي ظلت تستهدفهم منذ العام الأول من الحرب»[2]؛ الكاتبة هنا وضحت لنا تلك الظروف السائدة و التي كان يعيشها أهل العراق بداية من العام الأول للحرب إلى غاية العام الخامس لها و الذي يتمثل في زمن وقوع الحدث.

ونجد أيضًا:«علياء تخرج من منزلها صارخة وقت الغروب...»[3]؛ هذا المقطع نجده يحيل إلى زمن وقوع الحدث المتمثل في خروج علياء وهي في حالة من الصراخ.

كما تطرقت الروائية إلى ذكر بعض التواريخ جاعلا من الزمن في روايتها أكثر واقعية ووضوحًا، مثلما نلاحظ ذلك في قولها: «...لقد أطلقت عليها أمها المسيحية هذا الاسم بعد مشاهدتها لفلم (قصة الحي الغربي) عام 1961 ، كان يقدم قصة توني و ماريا وهما يقعان في الحب من أول نظرة في حفلة راقصة...»[4]،فالكاتبة هنا أوردت تاريخ مشاهدة لذلك الفلم ، فسميت ابنتها ماريا نسبة إلى بطلة الفلم.

ونصادف أيضًا قولها:«أصابت عيني اليمني شظية في قصف صاروخي أصاب مدرستنا في الثمانينات، فاستبدلها بعين زجاجية »[5]؛ يتضح في قولها هذا تاريخ وقوع الحدث المتمثل في إصابة عين خولة من خلال قصف صاروخي حدث في مدرستها.

ونجد أيضًا:«... بعده مباشرة ظهر الصوت الرخيم للمذيعة التي تعرضت لرصاص الاغتيال عام 2007 ، وهي المرأة نفسها التي تمكنت من الوصول إلى مبنى الإذاعة و التليفزيون بالرغم من القصف الشديد عام 1991...»[6]؛ ومن خلال هذا المقطع السردي نجد الروائية تروي لنا زمنين تعرضت فيهما المذيعة لمحاولة إماتة ، الأول في تاريخ 1991 حيث نجت من القصف و الثاني في تاريخ 2007 حيث تعرضت لإطلاق النار.

---

[1]أخوة محمد:ص(142).
[2]المصدر نفسه:ص(157).
[3]المصدر نفسه:ص(212).
[4]المصدر نفسه: ص(185).
[5]المصدر نفسه:ص(201).
[6]المصدر نفسه:ص(25).

إن ما نلاحظه هو أن الزمن الوقائعي كثير الورود في هذه الرواية ، فهو الزمن الحقيقي لوقوع الأحداث، وهذا ما جعل الرواية قريبة من القارئ ، و أيضًا كونها تعالج الواقع الاجتماعي في العراق.

ثانيا: الزمن الفني

إن الزمن الفني عكس الزمن الواقعي، حيث نجد الكاتب يتلذذ بتلك الحرية التي يكتب من خلالها أحداثا متنوعة دون التقيد بالتواريخ أو أزمان محددة ، «فهو مكثف تخييلي قادر على الإيحاء الفني بالمطابقة و من ثمّ يقبل القارئ جملة روائية تعطي عدة سنوات ، كما يقبل عدة صفحات تعطي خمسة دقائق مثلاً لان العبرة في الإيحاء بسرعة الزمن و بطئه، و ليس بتجسيد ماتم في الزمن الخارجي »[1]؛ فالباحث يشير هنا إلى عملية خيالية قادرة على تقليص مدة زمنية طويلة في جملة سردية وهذا ما سماه بالإيحاء الفني.و يعرف أيضا بأنه : «زمن أحادي ينمو بالكلام في التوالي ، أنه زمن انتظام الصياغة و تكوينها في جملة تتوالى و ترتصف مقيمة القول»[2]؛ يقصد هنا أن الزمن الفني أساس بنائه هو الكتابة .

فالزمن الفني في هذه الرواية تداخلت فيه الأزمنة التالية : الماضي الحاضر و المستقبل ، أما في العمل الروائي قد تتداخل فيه كل هذه الأنواع الثلاثة.

إن القارئ لروايته"أخوة محمد "يجدها تقوم برصد أحوال العراق خلال فترة الحرب ، بحيث يجد الساردة فيها تقوم برصد الأحداث عبر زمن الماضي وذلك عن طريق الاسترجاع و الاستذكار وفي حين تجسد الحاضر في حال الشخصيات و ظروفها ، أما المستقبل يمثل طموحات وأمال تلك الشخصيات .

---

[1] سمر روحي فيصل: بناء الزمن في الرواية العربية السورية ، الأسبوع الأدبي، مجلة أسبوعية يصدرها إتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سوريا ، ع (449) ، (02/02/1995) ، ص (05).

[2] يمني العيد : القصة القصيرة و الأسئلة ، (اللغة ، الأدب، الإيديولوجية)،ص(29).

1- زمن الماضي :

يعتبر الزمن الماضي في الرواية ، عملية استرجاعية لأحداث ووقائع جرت في زمن ماضي ، وقد ورد الحديث عن مثل هذا النوع من الزمن في الرواية و يتضح ذلك في قول الكاتبة :« تذكرت كيف أن الخطر يصبح لذيذا وقت الحرب مع العدو وجاء بملابس الغزو ليشن عدوانه علينا، تلك الحرب شابتها اللذة فعلا»[1] بحيث لم يهرب أحد منها ..." ؛ فالكاتبة هنا نجدها تسترجع أيام الحرب الصعبة التي عاشها أهل العراق أثناء إجتياحها من طرف العدو.

ونجد أيضًا ذكر لزمن الماضي و خاصة الذكريات الصعبة في بعض من المقاطع السردية و منها هذا المقطع :« ... و بعد أيام من البدء بهذا العمل تعرفت على عباس ... كان عمري عشرة أعوام عندما التقينا قبل العيد الصغير بيوم واحد .... و في مثل عمرنا ذاك من الصعب علينا أن نتحلى بالصبر حتى مجيء العيد من أجل ارتداء حذاء جديد أعطته لأمي زوجة خالي عدنان قبل حوالي عشرين يوم قبل العيد »[2]؛ يحيل هذا المقطع إلى استرجاع سفيان لأيام الطفولة المزرية التي عاشها ، فلم يستطيع الصبر حتى العيد لارتداء ذلك الحذاء الذي أعطته له زوجة خاله .

لاتزال الروائية تسرد لنا الأحداث و الذكريات الصعبة و يتبين ذلك في هذا المقطع:«...و استذكر الأيام الأولى لعودتنا إلى بيوتنا بعد الحرب ...»[3]؛ ومن خلال هذا المقطع نجد أم يوسف تستذكر تلك الأيام العصيبة التي عاشتها خلال عودتها إلى بيتها بعد الحرب.

كما نجد أيضا هذا القول :«....ارتجفت ذاكرتي و استرجعت موقفا محرجًا حدث..... كنت عروسا تؤمن بالنظرية التي تقول بأن الهدية يجب أن لا تهدى أو تباع ....»[4]،من خلال

---

[1] أخوة محمد:ص(25).
[2] المصدر نفسه: ص(90).
[3] المصدر نفسه:ص(143).
[4] المصدر نفسه: ص (162-163).

هذا ماريا تسترجع الماضي و ذلك بعدما رأت تلك الهدية مباشرة استرجعت ذلك الموقف المحرج الذي جرى لها.

و يظهر الحديث عن الزمن الجميل في هذه الرواية و ذلك من خلال هذا القول :«...أنا أتذكر قصتك الأولى قبل ثلاثين عاما .... شكد حلوة كانت .... أمداني إذا أعرف اكتب مثلما ....»[1] ، من خلال هذا القول تستذكر أورشينا زمن كتابة الأستاذة لقصصها الأولى التي أعجبت بها كثيرا وتمنت أن تعرف كيف تكتب مثلها.

و نجد ورود لذكريات الزمن الماضي و يتضح ذلك من خلال هذا المقطع:«.... وأنشدت لي أنشودتها الكشفية عن النهر بحيث أعادتني إلى زمن مدرستي الخنساء التي كانت تقع فعلا على صفة نهر المجلة....»[2]، فمن خلال هذا القول نلاحظ أو رشينا تعود بالأستاذة إلى زمن الماضي و خاصة زمن الطفولة و الأيام الجميلة التي قضتها في مدرستهاالابتدائية.

تواصل مع سرد الماضي الجميل :«.... هذا ما تفعله الأشجار القديمة في البيوت.... تجعلها جميلة و مهيبة وذات تاريخ لا يشترى المشاتل و المحلات السنادين، وعندما تنظر إليها تنتابنا الرهبة لأننا نستعيد أجدادا زرعوها و جعلوها جزء أصيلا من خريطة البيت لا يمكن تغيره بسهولة ....»[3]، فمن خلال هذا المقطع السردي تستعيد و تسترجع الروائية ذكريات الزمن الماضي و الذي يتمثل في زمن غرس تلك الأشجار واصفة هذه الأشجار بوصف يعبر كيف لطبيعة أن تضع التاريخ.

كما نعثر أيضا على هذا القول:«...إرتجفت ذاكرتي و استرجعت موقفا محرجا حدث... كنت عروسا تؤمن بالنظرية التي تقول بأن الهدية يجب أن لا تهدى أو تباع ...»[4] ؛ و من خلال هذا نجد ماريا تسترجع الماضي بعد ما رأت تلك الهدية مباشرة كما استرجعت أيضا ذلك الموقف المحرج الذي جرى لها في نفس اليوم الذي تحصلت على تلك الهدية .

---

[1] أخوة محمد: ص(40).
[2] المصدر نفسه:ص(33).
[3] المصدر نفسه:ص(85-86).
[4] المصدر نفسه: ص(161-163).

و يظهر الحديث عن الزمن الماضي الجميل في هذه الرواية فيتبين ذلك في هذا القول:«... أنا أتذكر قصتك الأولى قبل ثلاثين عاما...شكد حلوة كانت ...أمداني إذ أعرف أكتب مثلها...»[1] ؛ في هذا القول تستذكر أورشينا زمن كتابة الأستاذة لقصتها الأولى التي أعجبت بها كثيرا فتمنت أن تعرف كيف تكتب واحدة مثلها .

و نجد ورود ذكريات الزمن الماضي الجميل و يتضح ذلك من خلال هذا المقطع: «...و أنشدت لي أنشودتها الكشفية عن النهر بحيث أعادتني إلى زمن مدرستي الخنساء التي كانت تقع فعلا على ضفة نهر الدجلة ...»[2] ؛ و من خلال هذا قول أن أورشينا تعود بالأستاذة إلى زمن الماضي و خاصة زمن الطفولة و الأيام الجميلة التي قضتها في مدرستها .

تواصل سرد زمن الماضي الجميل في الرواية: «...هذا ما تفعله الأشجار القديمة ببيوت ... تجعلها جميلة و مهيبة و ذات تاريخ لا يُشترى المشاتل و المحلات السنادين و عندما ننظر إليها تنتابنا الرهبة لأننا نستعيد أجدادا زرعوها و جعلوها جزءا أصيلا من خريطة البيت... »[3]؛ في هذا المقطع السردي تستعيد و تسترجع الروائية ذكريات الزمن الماضي والذي يتمثل في زمن غرس تلك الأشجار ؛ واصفة هذه الأشجار بوصف يعبر كيف للطبيعة أن تصنع التاريخ .

كما نصادف أيضا: «...عندي أمانة لكي فتقول له ماهي؟ ثم يقول لها : هذه الحيلة فتقلب أنهار حيلة الحلق بين يديها ثم تتذكر فردتها الأخرى... فيسألها هل أنت رميت الفردة الأخرى؟ فتقول له كلا...لا تزال معي لأنها هدية من جدتي نيلوفر وهي اخرما تبقى من أثرها...»[4]؛أما هنا يتضح لنا من خلال هذا المقطع أن أنهار تستعيد زمن الماضي وذلك من خلال تذكرها الهدية التي قدمتها لها جدتها قبل موتها، وكان هذا بعد رؤيتها لقرطها الذي ضاع منها عند الرجل.

---

[1] أخوة محمد :ص(40).
[2] المصدر نفسه :ص(33).
[3] المصدر نفسه:ص(85-86).
[4] المصدر نفسه:ص(194).

وتستوقفنا الرواية أيضا عند موقف من التذكر: « تقول أم يوسف بأنها تتذكر سعر علبة اللبن كان 250دينارا وهي الآن ثلاثة آلاف دينار ، وأن سيارتها القديمة كانت بحدود 10الاف دينار في ذلك الوقت.....»[1]؛ من خلال هذا القول نجدأم يوسف تستذكر أسعار بعض الأشياء في الماضي فغاص قلبها إلى تلك الأيام الجميلة.

إن الزمن الماضي في هذه الرواية كان جامعا لتذكرات حزينة صعبة و أخرى جميلة فنجد الروائية في هذه الرواية تقوم باسترجاع ذكريات الماضي الصعبة تارة ، و تتذكر ذلك الماضي الجميل بكل تفاصيله تارة أخرى.

2- زمن الحاضر :

إن زمن الحاضر زمن يقوم بسرد الأحداث التي تعيشها الشخصيات في الرواية في الوقت الحالي و غالبا ما يستخدم فيه زمن المضارع ، فهذا النوع من الزمن نجده في هذه الرواية يمثل زمن التجربة و المعاناة ، فهو امتداد الماضي و يظهر ذلك من خلال قولها :« ...أن سياراتها القديمة كانت بحدود 10 آلاف في ذلك الوقت ... و الآن بحدود خمسة ملايين دينار...»[2]؛ ورد في هذا المقطع السردي ذكر لزمن الحاضر و يتضح ذلك من خلال قول ماريا أم يوسف(و هي الآن...)؛أي سعر تلك السيارة في زمن الحاضر.

ونجد أيضا الزمن الحاضر في حديث الروائية:«... و الآن جعلني نشيد أورشينا الذي خاطبت فيه النهر.... و كلامها عن هذا الزقاق الذي يحمل جميع أبنائه اسم محمد، اخرج إلى الباب الثقيلة لكي افتحها و ألقي نظرة باتجاه الدنيا التي كتبت عنها أورشينا روايتها»[3]؛ ومن خلال هذا نجد الروائية تسرّد أحداث وقعت في الوقت الراهن و ذلك لأنها استخدمت زمن المضارع حيث وصفت مشاعرها الآنية حول الزقاق الذي تعرفت عليه من خلال رواية أورشينا.

كما جاء الحديث عن الزمن الحاضر في الرواية و ذلك في حديث الأستاذة مع أورشينا حول روايتها :«لحد الآن الأمر يسير بشكل مشدود يا أورشينا، الانتقال بين ضمير المتكلم و

---

[1] أخوة محمد:ص(107).
[2] المصدر نفسه:(ص ن).
[3] المصدر نفسه: ص (33-34).

ضمير الغائب أصبح مقبول داخل الفقرة الواحد..»[1]؛ يتضح من خلال تقديم الأستاذة لملاحظاتها حول رواية أورشينا بأنها توظف زمن الحاضر في حديثها و ذلك من خلال قولها(لحد الآن).

و نصادف أحداث أخرى في هذه الرواية تقع في زمن الحاضر أيضا و يتبين ذلك في قول أم يوسف:«...من هناك نزلنا إلى دروب ترابية سبق أن مشيتها مع سفيان، و الآن مع جعفر الذي كان يضحك طوال الطريق و يرد على التحيا المبالغ فيها إلى حد كبير ... هلو...هلو ... لك هلاااااو...»[2]؛أما هنا نجد ماريا تروي لنا ما جرى لها في طريقها لزيارة و تفقد بيت سفيان مع جعفر ، مع توضيح منها أن الأحداث تجرى الآن في زمن الحاضر.

ورد أيضا الزمن الحاضر من خلال قول صاحب عبد الملك المصري:«...أنا مدمن مخدرات و طلقت زوجتي، و أنا دائخ أكثر من مرة، وفعلا تم الطلاق، وقد مر على هذا الموضوع عدة سنوات. الآن لا أعرف ما إذا كان هذا الطلاق صحيحا أم لا؟...»[3] ؛ يشير هذا القول إلى زمن الحاضر و يتضح ذلك من خلال حديث عبد الملك و جاره الذي رواه عليه مشكلته حول قضية طلاقه من زوجته فكان يسأله إذا كان ذلك الطلاق منها صحيح حاليا.

وهناك ورود أخر لزمن الحاضر في ذلك الحوار الذي جرى بين الفتى والمرأة الجميلة حول العمل في حديقتها فقالت له :« ... قلت لك ليس الآن لا أحتاج إلى البستنجي في الوقت الحاضر...»[4]، يحيل هذا المقطع إلى زمن الحاضر و يتضح من خلال قولها بأنها لا تحتاج إلى عامل ليشذب حديقتها في الوقت الحالي.

إن الزمن الحاضر في هذه الرواية ليس بكثير الورود فكان يحمل في طياته تلك التجربة المعيشية التي عاشتها الشخصيات من معاناة و غيرها ،معبرة عن ذلك بالزمن الحالي سواء في الأحداث أو في الانطباعات النفسية التي تترجمها ألسنة الشخصيات.

---

[1] اخوة محمد :ص(117).
[2] المصدر نفسه: ص (167).
[3] المصدر نفسه: ص (169).
[4] المصدر نفسه:ص(182).

3- زمن المستقبل :

إن زمن المستقبل في الرواية يعني استباق الأحداث قبل وقوعها، كما يسمى أيضا باستشراف المستقبل، أي أن الكاتب يقوم بحزم أمتعة أفكاره و خياله ليسافر إلى زمن الغد ، لخلق أحداث مُتوقعة الحدوث ، حضر زمن المستقبل في هذه الرواية بإشارات قليلة جدا مقارنة بزمن الماضي و الحاضر.

و يتجسد زمن المستقبل في الرواية من خلال حديث الروائية:«....وبعد سنوات ستقوم الحرب الالكترونية و تؤدي إلى أعظم الخسائر البشرية و المادية ، و قد يُفنى الناس جميعهم بأقل جهد ممكن دون تحريك جندي واحد...»[1]؛ فمن خلال هذا القول نجد الروائية تستشرف لقيام حرب إلكترونية فتؤدي إلى خسائر بشرية و مادية والناس جميعهم يموت ، فهي تتوقع حدوث هذه الحرب بعد سنوات أي أنها تستبقها و تستسبق أحداثها.

كما نعثر أيضا على مثل هذا الزمان في الرواية فيتضح من خلال هذا المقطع:«...2028...واو كأنني أرى نفسي في المستقبل... تعال أيها المستقبل فأنا عاطلة عن الكلام...»[2]، فهنا بعد القراءة أورشينا لتلك الملاحظات التي قدمتها لها الأستاذة حول روايتها ورد استباق في الزمن من طرف الأستاذة، فاستبقت بالزمن إلى سنة 2028، وهي ليست في تلك السنة، فهذا ما جعل أورشينا تتخيل نفسها في المستقبل.

ومن هنا نجد أن زمن المستقبل قليل الورود في هذه الرواية، على عكس زمن الماضي وهذا راجع لكون الرواية تسرد في أغلب الأوقات عن أحداث تاريخية حدثت في الماضي.

ثالثا: الزمن النفسي :

إن هذا النوع من الزمن يكون نابعاً من الذات الإنسانية ، وتكون هي مقياسه الأول و الأخير، وبهذا يمكننا تسميته بالزمن الذاتي ، ونقيض الموضوعي لما تضمنه من تعارض مع الزمن الحقيقي.

---

[1] أخوة محمد:ص(14).

[2] المصدر نفسه: ص(28).

فتعريف الزمن النفسي « يتعلق في هذا المجال بالجانب الداخلي للإنسان الذي يمثل أداة قياس منطلقها شدة دقات القلب ليغدو بذلك تقدير الزمن منحصرا في القيم الفردية الخاصة أما"بيرسن pearson" يطلق عليه تسمية الزمن الإدراكي»[1]. ، وتتبع هذه التسمية من المنطلق الوحيد لإدراك هذا الزمن وهي أحاسيس و مشاعر الإنسان.

كما يعرف بأنه:«هو كل ما يتعلق بأحلام الشخصية و طموحاتها. فلكل إنسان زمنه الخاص به، و المتصل بوعيه ووجدانه و خبرته الذاتية »[2] ؛يشير هذا التعريف إلى أن الزمن النفسي متعلق بالشخص نفسه بمعنى أن لكل شخص ذكريات وخبرات يعيشها في زمنه الخاص.

ونصادف تعريف أخر لهذا النوع من الزمن :«هو زمن التحدي يتعلق بالواقع الداخلي و المعاناة الفردية للشخصيات الروائية و يعكس حركة استقبال الحس لعناصر الأشياء الخارجية ورد فعل الذات على ما يقع حوله»[3]؛ نستنتج من خلال هذا التعريف بأن الزمن النفسي زمن داخلي يتعلق بعوالم النفس البشرية و التي تتجمع فيها رغبات ومعاناة الشخصيات ، كما تقوم بردة فعل لما يحصل في العالم الخارجي.

و يظهر مثل هذا النوع من الزمن في هذه الرواية في حديث ماريا مع نفسها :« عليك بعملك فقط يا ماريا، قالت لنفسها ولاتتدخلي بأمور الآخرين...»[4]؛ فهنا نجد ماريا من خلال حديثها مع نفسها تشجع نفسها بالبدء في العمل قبل انقطاع الماء و الكهرباء بسبب سوء الأوضاع في تلك الفترة الزمنية .

---

[1] مندلاو: الزمن و الرواية ،تر بكر عباس، مراجعة أحسان عباس ، دار الشروق ، عمان ، (ط1)، (1997), ص (137).

[2] مها القصراوي : الزمن في الرواية العربية ،الجزائر، ص (17).

[3] عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجماعية (د ط)،(1994)،ص (129).

[4] أخوة محمد: ص(65).

تواصل ماريا الحديث و التفكير مع نفسها و ما يدل على ذلك :«...تقول دائما: كل ما مر بهم نص في كفة، وما سيحدث في كفة أخرى...»[1]؛ من خلال هذا نجد ماريا تفكر بكل ما مر عليهم من مشاكل ومعاناة و غيرها خلال الحرب كما نجدها تتصور ما سيحدث بعدها.

كما نجد أيضا ذكر للحديث النفسي في هذه الرواية:«... و جعلنا ذلك واسأل نفسي هل بيت سفيان و أهله يعتبر بيتا؟ وهل هذه القاصة الخالية من النقود تعتبر حرزا يعتد به...»[2]، يتضح من خلال هذا القول أن ماريا تسأل نفسها عن تلك الحالة المزرية و الفقيرة التي يعيشها أهل سفيان وشعورها بالاستغراب كيف يعيشون في تلك الأوضاع الصعبة.

كما تواصل ماريا الحديث مع نفسها فتقول :«...ولكن منظر كرة سفيان و عباس وخز قلبي و أشعرني بالألم... وهي لاتزال هناك...»[3]، تبين من خلال هذا المقطع السردي التعبير عن شعور الحزن و الألم عند ماريا بعدما رأت تلك الكرة عالقة و تفكرت مباشرة قصة اختطافهما.

ورد استعمال الزمن النفسي في هذه الرواية من خلال قول أورشينا:« ...وأنا بانتظار أن يُغمى علي في مكان عام ذات يوم ، فيأتي هذا الرجل الوسيم و يحملني بين ذراعيه دون أن ينبس ببنت شفة»[4]، نجد أورشينا هنا تحلم بيوم تلتقي فيه بفارس أحلامها.

تواصل الحديث حول هذا الزمن في الرواية ويتضح ذلك في قول الأستاذة:«...قالت لنا احملوا...فحلمنا دون أن نعرف أن ننام سيحدث شيء بالتأكيد...مع هذا أغمضنا عيوننا و تمسكنا بصفة قد لا يحتملها هذا الوضع السيئ أصلا هي صفة الحالم...»[5]، يتضح من خلال قراءة الأستاذة لرواية أورشينا بأنها قد جعلتها أورشينا تحلم و تدخل في أحلام اليقظة.

و من الشخصيات التي كانت تحلم بانتهاء الحرب نجد نيلوفر فيتضح ذلك في قول ابنتها:« لا تزال أمي تسكن في بيت أهلها بحي الساعة في الموصل .... تنتظر أن يزورها

---

[1] اخوة محمد: ص(68).
[2] المصدر نفسه:ص(172).
[3] المصدر نفسه:ص(158).
[4] المصدر نفسه:ص(36).
[5] المصدر نفسه:ص(200).

أحد أولادها، وتدعو الرب و مريم العذراء أن تنتهي الظروف التي تحول دون ذلك ...»[1] ، أما هنا نجد نيلوفرتحلم بانتهاء الحرب، فكان لها الأمل في ذلك بالدعاء إلى الله بأن تتغير الأحوال ويزورها أولادها.

ورد أيضا استعمال الزمن النفسي في هذه الرواية فتجده في قول ماريا: «...بل يجعلني أشعر بأنني في مطار أوميناء أو محطة قطار... أقف بين الجموع ... أصعد و أنزل معها ....وفي الوقت نفسه تنتابني و حشة السفر...»[2]، فمن خلال هذا القول تعبر ماريا على مشاعرها و وأحاسيسها العميقة حول ذلك المصباح الذي ظل مشتعلا في النهار، حيث منح لها شعور تواجدها في محطة السفر.

ونجد تواصل الحديث حول الزمن النفسي في الرواية و يظهر ذلك في قول الروائية:«تحاول ماريا أن تأكل الطعام الذي تعده بنفسها كيفما اتفق... وقد تكتفي بنصف صحن مما اعتادت أكله فيما سبق... لن تنام الليل لعدة أيام من شدة القلق، وهذا ما كانت تشعر به قبل كل سفر...»[3] ، هنا يتضح لنا شعور ماريا بالقلق و الحزن فهي لا تريد السفر ، و لا تريد ترك العراق فهذا ما أدي بها إلى تلك الحالة.

كما نجد أيضا ذكر لهذا النوع من الزمن في هذا المقطع:« علياء تخرج من منزلها صارخة وقت الغروب... صرخاتها هذه المرة مشحونة بالألم و الخوف المتراكمين منذ عشرات السنين تستغيث بأخوة محمد من الجيران جميعهم . تريدهم أن ينقذوها من هذا الوحش الكاسر الذي ظل يطاردها طوال عمرها...»[4]، يدل هذا المقطع على ذلك الألم و الخوف الذي زرعته الحرب في نفوسهم منذ زمن طويل فخرجت تنادي أهل الزقاق لطرد المستعمر الذي وصفته بالوحش الكاسر.

وهناك ذكر أخر للزمن النفسي في الرواية و يتضح في قول ماريا حول علياء: « قلت لها لنفتحها إنها لها... فطارت علياء من الفرح و ظلت تنظر إليها و تحرك رأسها قريبا من

---

[1] اخوة محمد : ص(157).
[2] المصدر نفسه: ص (61).
[3] المصدر نفسه: ص(162).
[4] المصدر نفسه: ص (212).

المرأة و كأنها تقرأها »[1]؛ هذا القول يوضح لنا شعور علياء بالسعادة ، فكادت أن تطير من الفرح بعدما فتحت هديتها.

تقول الأستاذة بأن أورشينا قد فرحت إلى شدة البكاء و يتبين ذلك من خلال هذا المقطع:«...انعوجت باتجاهي لتحضني وهي تبكي من الفرح ...»[2] ، هذا المقطع يحيل إلى فرح أورشينا إلى شدة البكاء ، بعودة جارها محمد أستاذ الرياضيات إلى بيته.

إن القارئ لرواية" أخوة محمد "يجد فيها ورود للزمن النفسي بشتى العبارات ، فهناك عبارات تدل على ذلك الحزن وتلك المعاناة التي عاشتها أهل الزقاق طيلة الحرب ، من خوف وقلق ، وهناك عبارات أخرى تدل على آمال و أحلام الشخصيات من انتهاء تلك الحرب ، كما نجد أيضا بعض العبارات التي تدل على الفرح و الحزن.

و أخيرا نستنتج من خلال دراستنا لعنصر الزمان في رواية" أخوة محمد" أن الزمن قد ورد فيها بأبعاده الثلاثة فالزمن الوقائعي كان مسيطرا أكثر على الرواية ، و هذا لكون الرواية تسرد أحداث من الواقع المعاش فيضفى على الرواية شيء من الواقع لتقريبه أكثر للقارئ و هذا من أجل تصديق المشهد الروائي كما نجد أيضا الزمن الفني فيها قد تداخلت فيه الأزمنة الثلاثة التالية :الماضي ،الحاضر و المستقبل ، فالزمن في هذه الرواية مذبذبا نوعا ما و ذلك يعود إلى طغيان تقنية الاسترجاع على عكس الاستباق الذي لم يرد منه إلا القليل ، أما الزمن النفسي فيها يعبر عن خلجات النفسية للشخصيات فتترجم أحزانها و آلمها من جهة و من جهة أخرى تعبر عن فرحها و أملها .

[1] اخوة محمد: ص(164-165).
[2] المصدر نفسه:ص(214).

الفصل الثالث: فضاء الصراع الطائفي في رواية أخوة محمد

أولا: أماكن مغلقة

ثانيا: أماكن مفتوحة

يعتبر المكان العمود الفقري الذي يربط كل جزء من أجزاء العمل الروائي بعضها ببعض من شخصيات و أحداث و سرد، بحيث لايمكن تصور أي عمل روائي بدونه و هذا ما اتضح لنا من خلال قول محمد بوعزة: «لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث وجوده من مكان محدد و زمان معين»[1]؛ أي أن المكان عنصر بارز في الرواية، و المكون المحوري في بنية السرد.

و للمكان أهمية كبيرة في العمل الروائي، فهو الفضاء الذي تدور فيه الأحداث و تتبلور في خضمه الشخصيات، فالمكان يجعل الرواية ذات بنية واقعية لأن «الفضاء الروائي يحتاج إلى أمكنة عديدة ذات بنية نابضة بالحركة و الفعل و يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة و دلالة خاصة، فهو ليس فقط مكانا فنيا، و ليس عنصر من عناصر الرواية، و إنما هو المكان الذي تُجري فيه الحوادث و تتحرك فيه الشخصيات»[2]؛ أي هو الحاوي لكل عناصر الرواية، فلا وجود لهذه الأخيرة بدونه،فهو عنصر ضروري في العمل الروائي فلا يمكننا الاستغناء عنه و هذا ما سنحاول كشفه في دراستنا في رواية "أخوة محمد" .

و منه نجد أن الأماكن في هذه الرواية قد تنوعت إلى نوعين من الأمكنة المتناقضة و يمكن عرضها على الشكل الأتي:

أولا: أماكن مغلقة

هي تلك الأماكن الثانوية الضيقة التي حددت مساحتها فتكون ملجأ و مأوى كل إنسان و تنقسم إلى نوعين اختيارية مثل البيت و إجبارية مثل السجن وهي «التي ينتقل بينها الإنسان و يشكلها حسب أفكاره، و الشكل الهندسي الذي يروقه و يناسب تطور عصره، و يقوم المغلق

---

[1] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، ، ص(99).

[2] مهدي عبيدي: جمالية المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار الدقة المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة ،دمشق،سوريا ،(دط)،(2010)،ص (26).

كنقيض للفضاء المفتوح، و جعل الروائيين هذه الأمكنة إطارا لأحداث قصصهم و محرك لشخصياتهم»[1]؛ وهذا يعني أنها تتحرك بفكر الإنسان وهي جزء من الأحداث و الشخصيات لهذا ارتأينا إلى ترتيبها وفق ما جاء في الرواية، و يمثلها كل من:

1-البيت: هو المكان الأول الذي يتخذه الإنسان كمأوى له، و لهذا فالبيت غالبا ما يوصف بذلك المكان الآمن للإنسان ، بصرف النظر عن القيمة الشكلية له فالإحساس بالدفء يبقى نفسه و هذا ما يراه" جاستون باشلار Gaston Bacheien " «و بينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى ننخرط في ذلك الدفء و هو المناخ الذي يعيش فيه الإنسان المحمي في داخله»[2]؛ بمعنى له مميزات و أهمية كبيرة في حياتنا زيادة على الراحة و الأمان، يقينا من برد الشتاء و حر الصيف فهو موطن الإنسان و صندوق أحلامه و ذكرياته.

و يتجلى استخدام البيت في رواية أخوة محمد من خلال هذه النماذج التالية:

فنبدأ بقول الأستاذة: «ذهبت وعدت بملابس العمل إلى هذا البيت الجديد، و ذهبت لجلب بعض النواعم الزجاجية و التحفيات القابلة للكسر من البيت القديم...»[3] ؛يتضح لنا من خلال هذا أن الروائية قد انتقلت إلى بيتها الجديد و أنها تواصل عملية التّرحال وذلك من خلال ذهابها إلى بيتها القديم.

---

[1] الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، (دراسة في روايات نجيب كيلاني)، دار العلم للكتب الحديثة ، عمان، الأردن،(ط1)، (2010)،ص(244).

[2] ينظر جاستون باشلار: جماليات المكان في الرواية العربية، تر: غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر و التوزيع،بيروت ،(ط2)،(1984)،ص(38).

[3] أخوة محمد: ص(10).

تواصل الروائية حديثها حول البيت، فتسرد لنا تلك الأحداث التي وقعت في أول صباح لها في بيتها الجديد فتتقول :« كنت أنظر في أول صباح لي في هذا البيت فوجدتها تتحدث مع فتى صغير يركن دراجته قرب باب البيت...»[1].

كما نجد ذكر للبيت في هذه الرواية و ذلك من خلال حديث أورشينا مع الروائية حول روايتها و قولها:« كلا إنها رواية و الله العظيم رواية؟ وستجدينها تبدأ من هذا البيت الذي تسكنه ماريا ...،ماريا زوجة عبد الملك الذي اشتريت منه هذا البيت»[2]؛ يتضح من خلال هذا بأن أورشينا قد بدأت روايتها من ذلك البيت الذي انتقلت إليه الأستاذة حديثا.

ورد الحديث أيضًا عن هذا المكان المغلق من خلال قول سفيان:« أمي تبخرنا بعد خروج خالي عدنان من بيتنا مع زوجته التي نطلق عليها ساخرين اسم لينا، فهي تخاف من عيونها لئلا تحسدنا، و لهذا تدور بالمبخرة في البيت...»[3] ، فسفيان تحدث عن ما تقوم به أمه للبيت بعد كل زيارة من خاله و زوجته، فتملأ المنزل بالبخور خوفا من الحسد.

يواصل سفيان حديثه حول البيت، و لكنه هذه المرة يتحدث حول بيت أم يوسف عندما كان يعمل عندها في البستان فرأى بنت أختها أنهار فأعجب بها كثيرا و قال:«أنهن هناك في البيت المبرد جيدا ينعمن برائحة الهواء البارد و يعلقن الزينات و لا يعرفن شيئا عن سفيان الذي لم يذهب حتى تنغلق الستارة مع ارتفاع شمس الظهيرة الحامية»[4]. أما هنا عندما تحدث سفيان عن البيت تبين على أنه كان يرى أنهار في نعمة داخل ذلك البيت .

[1] اخوة محمد: ص (25).
[2] المصدر نفسه: ص(24-25).
[3] المصدر نفسه: ص(93).
[4] المصدر نفسه: ص(120).

كما تحدث أيضًا سفيان عن مكان تواجد بيت صديقه عباس فيقول:« بيته تحت جسر العدل و كان عبارة عن سقيفة مقتطعة من حديقة بيت الصائغ الذي سافر إلى سوريا، وجعلهم يسكنون في تلك السقيفة لحراسته»[1] .

و يواصل سفيان حديثه حول البيت فنجده يصف لنا بيت الصائغ قائلا:« البيت كان كبيرا جدا و فيه بالكونات و مشتمل يقع خلفه الكراج دخلنا من بابه إلى الحديقة فاستقبلتنا أم عباس بالتعنيف و طلبت مني الإسراع في العودة إلى البيت...»[2]

إن الحرب كانت سبب في دمار البيوت و هجرة أهاليها و تركها و هذا ما يتبين لنا من خلال هذه المقاطع:«...لا أحد يقف في أبواب البيوت، أكثرها مهجورة و حدائقها يابسة...عندما يمران فيها قبل الحرب يجدانها زاهية بالألوان و الخضرة أما..... الآن هي صامتة و صافتة....»[3] ، في هذا المقطع اتضح لنا ما خلفته تلك الحرب على البيوت.

تواصل الحديث في الرواية حول الحرب و ما سببته فتقول أم أدهم لأم يوسف:« كل البيوت اللي بصفي فرغت من بيت أبو النبقة و لحد بيت أبو المولدة»[4]، كما تقول أيضا أم ادهم في حديثها مع جارتها أم يوسف :«كل البيوت اللي بين بيت أورشينا و بيت المخابيل فارغة بيت محمد أبو السجاد ، بيت محمد أستاذ الرياضيات و بيت أم محمد الصيدلانية ...كلهم شالو...»[5] ،من خلال حديث أم ادهم في هاذين المقطعين اتضح لنا فراغ كل البيوت و هجرة أصحابها لها ، فهذا يعود إلى تلك الحرب السائدة آنذاك ، فسبب ترك الناس لمنازلهم و اعتناقهم الهجرة خوفا من تلك الأوضاع التي أدت إلى انعدام الأمن.

---

[1] أخوة محمد:ص(135).
[2] المصدر نفسه: (ص ن).
[3] المصدر نفسه:(ص ن).
[4] المصدر نفسه: ص(142).
[5] المصدر نفسه: ص(145).

كما نصادف أيضا ورود للحديث عن البيت ووصف حالته و ذلك في تساءل رجل كهل لصاحب المطعم أو السوبر ماركت عن منزل ماريا عندما رجع إلى الزقاق فقال:« و أجابوني دائما بأنه كان فارغا لعدة سنوات، احتلته المهاجرون عدة مرات، ثم قامت الشرطة بإخراجهم منه و الحارس الذي يحرسه قد مات»[1] .

و هناك ذكر أخر لهذا المكان المغلق في الرواية من طرف شخصية أنهار عندما ذهبت لزيارة خالتها في لندن فهي كانت تعلم كل ما جري للبيت و لكنها لا تستطيع أن تخبرها بشيء حول ما حصل للبيت لأنها تظن بأنه كما كان عليه الحال من قبل، و بعدها تتذكر أنهار يوم عيد ميلادها في ذلك المنزل «...تنتقل بين الثريات، و تعلق الزينات في أرجاء البيت الذي يعج بالألوان البهيجة و السجادات الأنيقة والستائر السميكة التي تنغلق فوق ستائر شفافة بيضاء اللون... »[2] ، نجد أنهار في هذا المقطع تتحصر حول الحالة التي أصبح فيها بيت خالتها الذي كان من أروع البيوت، فبعد هجرتها أصبح في حالة لا توصف.

1-1- *الغرفة* : من الأماكن المغلقة التي تتسم بالخصوصية فمهما جرى الحديث عنها و مهما قيل في خصائصها و تركيبها لا نستطيع الكشف عن بنيتها الجمالية «فهي بقع فوق أرض، تحجب النور وتضعه وتجعل لباحتها الصغيرة إمكانية تعويضه عن الفضاء السمح الأقل المتجدد، واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمنته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيها، فالغرف في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها وحاجات تتزايد بتعدد الحاجات الجديدة وهكذا تدخل في دائرة متشابكة مستمرة من الحياة، ترافق رحله طويلة لا نهاية لها»[3]؛ يعني أن الغرفة ركن صغير يقع في المنزل له خصوصية تلبي حاجيات الإنسان .ونجد توظيف هذا المكان المغلق في

---

[1] أخوة محمد: ص(181).
[2] المصدر نفسه: ص (186).
[3] ياسين النصير: الرواية و المكان، (دراسة المكان الروائي)، دار نينوي للنشر و التوزيع ، دمشق، سوريا (ط2)،(2020)، ص(74،75) .

الرواية ويتضح ذلك في قول سفيان «وأنا من شده انزعاجي منها كنت اذهب إلى غرفه أخرى وافتح نوافذها...»[1] ،ففي هذا المقطع سفيان لم يتحدث عما كان في الغرفة أو يصفها بل كانت بالنسبة له مكانا مريحا يخلو من رائحة البخور التي كانت نعم البيت فاتجه إليها.

و هناك ذكر أخر للغرفة في الرواية و يتبين ذلك من خلال هذا المقطع:« دق جرس الموبايل في السادسة فجرا فانقطع الحلم الذي رأته ماريا عن كسوف الشمس و نهضت متأففة من نومها لم تسقط أرض أو تركض خارج الغرفة باتجاه الهول الذي كان ضوء النيون لا زال مشتعلا فيه...»[2] .فهنا أيضا عندما ورد الحديث عن الغرفة للدلالة فقط عن مكان نوم ماريا و الذي كان فيها.

و كما نعثر أيضًا على هذا المكان في الرواية عن طريق الوصف و يظهر من خلال هذا المقطع «و ستائر جميلة معلقة في الغرفة التي أصبحت جميلة للغاية»[3]، فمن خلال هذا نجد سفيان يصف غرفة أمه التي أصبحت جميلة بعد تلك التغيرات و الأغراض التي قدمتها لهم أم يوسف بعد زيارتها لبيتهم.

تواصل وصف الغرفة في الرواية و يتضح ذلك في قول ماريا :«أصبحت أستيقظ من النوم إلى الفراغ بعد أن توالت الأيام و أنا أرفع من غرفة نومي كل الحاجيات الفائضة عن الحاجة اختفت الساعة و اللوحة و الكثير من التحفيات حتى أصبحت الغرفة خالية تقريبا...»[4]؛ أما هنا اتضح ما كانت تقوم به ماريا من خلال استغنائها على الكثير من الأشياء في غرفتها حتى صارت خالية.

---

[1] أخوة محمد: ص(93).
[2] المصدر نفسه: ص(64).
[3] المصدر نفسه:ص (124).
[4] المصدر نفسه: ص(161).

1-2-المطبخ: يعتبر من الأماكن المغلقة الموجودة في كل بيت، فهو عبارة عن غرفة مخصصة لطهي الطعام، فتناوله في الرواية كان ليس بشكل كبير و إنما في بعض من القطاع التالية:«بل فتحت أكرة المطبخ وضعت إبريق الماء على النار...»[1] من خلال هذا تبين لنا دخول ماريا إلى المطبخ من أجل القيام بتحضير فطور الصباح و يتضح ذلك من خلال وضعها إبريق الماء على النار.

و نجد ذكر أخر للمطبخ في حديث سفيان عن كيفية استقبال ماريا لابنها يوسف عندما يعود من المدرسة فيقول:« و أنا أعمل في الحديقة ، فإني أراها تأخذ منه الحقيبة و الكتب و أحيانا تعطيه منديلا معطرا ليمسح يديه، ثم تسرع لفتح المطبخ و معالجته بقدح ماء بارد أو منشفة صغيرة يجفف عرقه الذي يتصبب حتى من عينيه»[2]؛ فالمطبخ هنا يعتبر مكان تلجأ إليه أم يوسف لمعالجة ابنها بقدح من الماء البارد.

كما نصادف أيضًا ذكر لهذا المكان في حديث سفيان عن بيت ماريا فقال:«و عندما دخلت المطبخ رأيت أنهار تنظر إلى نفسها في المرآة ...أم يوسف سحبت الستارة فور دخولها لتجعل الضوء الساطع يطرد ظلام مع فتح الستارة فأصبحت أرى المطبخ كله...»[3] فسفيان هنا كان يصف لنا حالة المطبخ بعد سحب الستارة.

أما ماريا عندما كانت تسرد لنا عن أوائل أيام زواجها عند مجيء صديقتها لزيارتها فذكرت هذا المكان و قالت : « و بقيت أنا قلقة في ذهاب و مجيء بين المطبخ و الهول مغبة أن

[1] أخوة محمد: ص(64).
[2] المصدر نفسه: ص (73).
[3] المصدر نفسه: ص (120).

يحترق أو يشيط الرز على النار...»[1] فماريا هنا عندما تحدثت عن المطبخ فكانت خائفة من أن يحترق لها ذلك الطعام.

تجسّد في الرواية تشكيل أخر للغرف فكان على شكل طابع السرداب.

1-3-السرداب: يُعد من الأماكن المغلقة المتواجدة في بعض المنازل التقليدية «فهو عبارة عن كيان يقع تحت البيت، كحفرة عميقة تتجمع فيها أسرار الأسرة ، فطريقة النزول إلى هذا السرداب تكون بواسطة درجة صغير ، يؤمه الناس وقت القيلولة ووقت اشتداد الأزمات»[2] هنا نجد وصف و شرح السرداب، إذا نجده يتموقع تحت البيت فيتخذها أصحابها كمكان سري وقت الشدائد.

فلقد ورد استعمال هذا المكان المغلق في هذه الرواية أثناء اختطاف عباس و سفيان و يتضح ذلك في هذه المقاطع السردية:«... بعد الوصول و ضعوهما في سرداب ليس فيه نافذة، وقرب بابه غرفة حراسة و كرسي و رشاشة...»[3] فالسرداب هنا يمثل مكان تواجد الطفلان بعد خطفهما.

فنجد ذكر لكلمة السرداب في حديث سفيان فيقول:«.... فأنا و عباس لم نعد نعطي اسما لأحد، و لا كانت لدينا رغبة في الكلام و التفكير لأنه بعد شهر في هذا السرداب أصبحنا لا نستطيع التعامل لا مع هذا الإنسان الغامض، ولا مع غيره ممن يتحركون على هيئة أشباح...»[4] أما هنا تبين لنا كره سفيان و زميله عباس لذلك المكان إلى درجة فقدان الرغبة في الكلام مع أحد بعد ثلاثين يوم فيه.

---

[1] أخوة محمد: ص(163).
[2] ينظر:ياسين النصير، الرواية و المكان ،ص(90-91).
[3] أخوة محمد :ص(206).
[4] المصدر نفسه: ص(176).

تواصل الحديث عن هذا المكان المغلق في الرواية لكن بصفة الوصف فقيل :«...كان ينامان في مكان مظلم و رطب معصوبي الأعين... و لا يأكلون سوى خس قذر غير مغسول... أما الماء فكان مزهلجا خابط اللون.... و كان يتلوثان بالطين عندما يتحركان من مكانهما»[1] فهنا نجد وصف لذلك المكان الذي كان فيه كلا من سفيان و عباس ، كما نجد وصف لحالتهم داخله.

فبعد مراقبة كلا من عباس و سفيان لغرفة الحارس و تأكدوا من أنه لأحد يدخل أو يخرج فقرروا الهروب من ذلك السرداب و هذا ما يدل على ذلك« طوال النهار و الليل كان عباس و سفيان صامتين تماما ينظران إلى المسافة التي تفصل غرفة الحارس عن باب السرداب الذي احتجز فيه»[2].

2-السجن : مكان من بين الأماكن الإجبارية المغلقة و الضيقة و التي قد حددت مساحتها، إذ يعتبر واقع للانحباس و الانغلاق على الذات، «تحبس فيه حريات الناس بغض النظر عن أصنافهم و أسباب حبس حرياتهم، فهو مكان له حدود و حواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتحطيم هذه الحدود»[3]؛ في هذا نجد أن السجن مكان محدود المساحة يقطع على المسجونين حريتهم.

فدلالة السجن لم تذكر إلا قليلا، فذكرت الرواية هذه الكلمة في حديث دار بين ماريا و خديجة أخت سفيان عن سبب تعطيل المروحة السقيفة، فقالت: «- لماذا المروحة السقيفة لا تعمل. لا أحد يعيدها كما كانت، أين باقي إخوتك؟سفيان راح و صباح هاجر و عثمان بالسجن، و بس حمودي بالبيت»[4] فورود كلمة سجن هنا للدلالة فقط عن مكان وجود أخيها عثمان.

---

[1] أخوة محمد: ص(190).

[2] المصدر نفسه: ص (208-209).

[3] حنان محمد موسى حمودة: الزماكانية و بنية الشعر المعاصر، عمان، الأردن،(ط1)،(2006) ، ص(100).

[4] أخوة محمد: ص(171).

3-**الجامعة**: هو ذلك المكان المغلق الذي يرتاده المثقفون من أجل كسب العلم و المعرفة ،فهي تعني مؤسسة التعليم العالي و البحث العلمي، إذ نجدها تعطي شهادات التخرج و توفر الدراسة كاستكمال للمستوى الثانوي و الإكمالي.

و في هذا الصدد نجد ذكر لهذا المكان في الرواية أثناء حديث الأستاذة مع أورشينا حول حكايتها مع الكتابة فتجيبها قائلة:« أنا درست علم النفس في الجامعة المستنصرية، وتخرجت قبل ثلاثة أعوام ولا أعرف ما هو المستقبل ولا أنتظر شيئا ولا أفعل شيء سوى الكتابة»[1] يتضح من خلال حديث أورشينا بأنها من الذين درسوا في هذا المكان و تحصلوا على شهادة التخرج.

كما كانت الجامعة مكان للعمل و يتضح ذلك في قول سفيان:« ماريا أم يوسف جاءت إلى بيتنا عندما ذهبت لكلية الطب البيطري من أجل أخذ متعلقاتها بعد تقاعدها...»[2] ، فالجامعة هنا تمثل مكان عمل ماريا قبل تقاعدها.

ثانيا: أماكن مفتوحة

هي تلك الأماكن الرئيسية التي لم تحدد مساحتها، فهي عبارة عن فضاء يمتد به القاص للخروج إلى الطبيعة الواسعة، ففضاء الطبيعة الذي تتحرك فيه الشخصيات يمثل حقيقة التواصل مع الآخرين و الحركة و التوسع و الانطلاق، لهذا «تقوم بدور مهم في الرواية تتجلى

[1] أخوة محمد: ص(39).
[2] المصدر نفسه: ص(121-122).

في التأثير المتبادل بين الشخصيات من جهة ، و بينها و بين الأحداث من جهة أخرى»[1]؛ و عليه نستنتج أن الأماكن المفتوحة في الرواية تمثل عنصرًا فعالًا بينها و بين الشخصيات و الأحداث.

فقد قمنا بدراسة هذه الأماكن المفتوحة في رواية "أخوة محمد " فتمثلت فيم يلي:

1-الشارع: من الأماكن العامة التي لا تعد ملك لأحد، إذ نجده يتميز بأهمية كبيرة في حياة الفرد و عن طريقه يتنقل الناس إلي أماكن عملهم أو دراستهم، و باعتباره من الأماكن المنفتحة العامة نجد حسن بحراوي يشير إليه بقوله:« أن الأحياء و الشوارع تعتبر أماكن انتقال و مرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات و تشكل مسرحا لغدوها و رواجها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها»[2]، فالشارع هنا بمثابة مسرحاً لتنقل الشخوص بين أماكن العمل و الإقامة.

فالشارع في رواية" أخوة محمد" أحد الأماكن البارزة بحيث دار جل الحديث حوله و ما كان سائد فيه طيلة أيام الحرب، و هذا ما اتضح لنا من خلال الحوار الذي جرى بين أورشينا و الجارة الجديدة حول موضوع الرواية التي كتبتها أورشينا ، فتقول:«... لها الأستاذة لا يوجد بصراحة ما تقصيه عن هذا الشارع... فماذا يمكن أن يوجد فيه سوى القتل و الخطف و التفجيرات... حرارة أيام لاهبة مع جرحى و أموات ، و غير ذلك من الألم و الأهوال و الظلمات»[3] هذا المقطع يدلنا على تلك الأوضاع السائدة في الشارع أيام الحصار.

ورد ذكر آخر للشارع في الرواية فنجده يتضح من خلال قول سفيان:«.... لم تكن الشوارع مهجورة بعد، و لكنها خالية من أصحاب الدراجات أو الشباب لأحد يسير بمفرده في

---

[1]محمد عبد الله القواسمة: البنية الروائية في رواية الأخدود، (مدن ملح لعبد الرحمان منيف) ، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع،الأردن،(ط1)،(2009)،ص(70).

[2] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت،(ط1)،(1990)،ص(79).

[3]أخوة محمد :ص(16).

هذا الوقت المتأخر هنا نجد سفيان يصف لنا حالة الطريق في ذلك الوقت المتأخر»[1]؛ فلا أحد في الخارج خوفا من تلك الأوضاع السائدة آنذاك.

يواصل سفيان حديثه حول الشارع و يقول:« الشمس الغاربة حافاتها حمراء كالجمر و الهمرات تملأ الشوارع و علينا الرجوع من شارع السفارة الصينية إلى نفق الشرطة...»[2] ، فمن خلال هذا نجد سفيان يتحدث حول موعد الدخول للمنازل لمن يريد النجاة بنفسه، أما اتخاذهم لذلك الطريق كان بغرض الابتعاد عن المخاطر التي تواجههم في الطريق.

و كما نصادف أيضًا ذكر لهذه المفردة و يتبين ذلك خلال خروج ماريا إلى بيت طبيب المشرحة للسؤال عن سفيان الذي اختفى فتقول:«... جمع كبير من الناس يجتمعون و يتجادلون وسط الشارع، و كأن الدنيا قد انقلبت و السماء قد انطبقت على الأرض...»[3] فماريا هنا كانت تسرد لنا حالة الشارع التي عمتها الفوضى بسبب ذلك الصراع الذي كان بين الناس.

تواصل الحديث حول هذا المكان المفتوح في الرواية و لكن باستعمال مفردة أخرى و هي مفردة الزقاق فنجد الكاتبة تصف حال الزقاق و تقول«... ما أن يأتي المغرب حتى يبدأ الصراخ و يرتفع العويل بشكل مخيف يتناقض مع سكون الزقاق في أوقات النهار كثافة السكان فيه تبدو معدومة».[4]

كما يستوقفنا الحديث عن الزقاق و ما كان يجري فيه طيلة أيام الحرب إذ نجد هذا المقطع معبراً على ذلك :«لم نجد أنا و عباس باباً غير باب ماريا نختبئ وراءه عندما لعلع الرصاص

---

[1] أخوة محمد:ص(140).
[2] المصدر نفسه: ص(102).
[3] المصدر نفسه: ص(158).
[4] المصدر نفسه :ص(33).

عشوائيا قريبا منا عمت حالة من الفوضى العارمة و الهيجان و الصراخ من بعض الموجودين في الزقاق ...»[1].

ونجد أيضًا في هذه الرواية وصف لحالة الشارع بعد الحرب و يتضح ذلك من خلال قول ماريا:« الناس الذين حضروا معي لاستلام الراتب الأول بعد الحرب كان عددهم كبيرا بحيث وقفنا في الشارع بدون مكان»[2]؛ فهنا عندما تحدثت ماريا عن الشارع كانت تصفه بالامتلاء و هذا بسبب العدد الهائل من الناس الذين ينتظرون رواتبهم.

و حتى الشوارع لم تسلم من تلك الحرب و آثارها و ما يدل على ذلك:« أصبحت القناني الفارغة تملأ الشوارع العامة تحظى باهتمام نسبي من عمال البلدية...»[3] فهذا المقطع يدل على حالة الشارع بعد الحرب و التي عمتها الفوضى و انعدام النظافة.

فبعد ذلك الخراب و الفوضى التي عرفها الشارع طيلة أيام الحصار، نجده ها قد عادته السكينة و الهدوء التي عرفها قبل الحرب و ما يدل على ذلك نجد قول الروائية:« فالشارع قد خلى من أي نائمة صوت عدا صوت صفير الليل نفسه إنه غارق في صوت عميق لم يقطعه سوى صوت سيارة واحدة...»[4] .

2-**الحديقة:** مكان من بين الأماكن المفتوحة و التي يقصدها الناس من أجل الراحة و قضاء وقت جميل إذ تعرفها محبوبة محمدي ، بأنها« مكان ألفة و محببة و مسلية يلجأ إليها الناس و

[1] أأخوة محمد:ص(105).
[2] المصدر نفسه: ص(66).
[3] المصدر نفسه: ص (71).
[4] المصدر نفسه: ص(213).

يتعارفون فيها أو يلجأ إليها الإنسان مستذكر ذكرياته المفرحة أو المحزنة»[1]؛ إذن الحديقة مكان يقصده الناس للترويج.

حضرت الحديقة في رواية" أخوة محمد "و ما يدل على ذلك قول الأستاذة:«..... جلسنا هناك في الحديقة مع خطتي و مسطرتي...»[2] ، من خلال هذا القول تبين لنا مكان تواجد الأستاذة مع أورشينا.

هناك ورود للحديث عن الحديقة في الرواية و يتضح ذلك عندما ذهبت أورشينا إلى الجارة الجديدة ،فعندما تأخرت في فتح الباب لاحظت منظر الحديقة المتداعي فقالت للأستاذة: «أستاذة ،أستاذة هل تريدين للفلاح أن يأتي لتشذيب الحديقة ؟ و لما الحديقة على هذه الدرجة من الإهمال»[3]،فأورشينا هنا تتساءل عن سبب إهمال تلك الحديقة،كما تقترح للأستاذة حل لتعدليها إلى صورة أفضل و ذلك بمجيء الفلاح لتشذيبها.

كما نعثر على ذكر آخر لهذا المكان المفتوح في الرواية من طرف سفيان البستنجي الذي كان يعمل في تشذيب الحدائق فيقول:« إسمها ماريا وأن أسميتها أم اليأس بسبب حديقتها التي يسورها اليأس في كل مكان...»[4]؛ فمن خلال حديث سفيان يتبين لنا حال حديقة ماريا و التي في درجة من الإهمال لا توصف، و لهذا أطلق عليها تلك التسمية نسبة إلى حديقتها السيئة المنظر.

تواصل الحديث حول حديقة ماريا فنجدها تتحدث عن سفيان عندما كان يعمل عندها فتقول:« فوجدته قد حول أشجار الرارنج الثلاث إلي أشجار عارية من الأسفل و كأنها قد خلعت

---

[1] محبوبة محمدي، محمد آبادي: جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة السورية للكتاب بوزارة الثقافة،دمشق،(ط1)،(2011)،ص(53).

[2] أخوة محمد:ص(15).

[3] المصدر نفسه:ص(46).

[4] المصدر نفسه: ص (76).

عنها سراويلها و المنشار في يده...»[1] هنا نجد ماريا تصف لنا حالة تلك الأشجار المتواجدة في حديقتها بعدما قام سفيان بتشذيبها.

و أخيرًا نستنتج أن عنصر المكان في هذه الرواية أخذ حيزًا كبيرًا،كونه يتناول أحداث وقعت على أرض الواقع، و بالتالي فالأحداث التي تستمدها الكاتبة تكون من أماكن عدة وقد اشتملت على الأماكن المغلقة و الأماكن المفتوحة، و كلها قد ساهمت في رصد حركة الشخصيات و بناء هيكل الرواية .

[1] أخوة محمد:ص (82) .

خاتمة

خاتمة

في ختام بحثنا المعنون ب "الصراع الطائفي في الرواية العراقية "و الذي اعتمدنا فيه على رواية "أخوة محمد لميسلون هادي" كأنموذج، توصلنا إلى عدة استنتاجات نذكر من أهمها:

- تعتبر العراق من الدول التي تميزت بتنوعها العرقي، و هذا ما أدى بأهلها إلى الوصول للصراع الطائفي وذلك بين السنة و الشيعة .

- إن ظاهرة الصراع الطائفي في العراق لها جذور عميقة حيث تبلورت منذ الاحتلال الأمريكي إلى غاية اليوم، كما ظهر مؤخرا اختلاف بين مذاهب البلد.

- عاشت العراق في حالة فوضى وذلك بسبب الدائرة الأمنية، حيث بدأ المعتدون بترتيب الأوضاع السياسية، و بعدها ظهرت حركة المقاومة العراقية.

- من أهداف شباب الشيعة تأسيس حزب الدعوة الإسلامية و ذلك فور سقوط النظام الملكي .

- عملت رواية" أخوة محمد "على إبراز ذلك الصراع الطائفي القائم في العراق، بين عدة مذاهب مختلفة.

- من خلال الدراسة التي قمنا بها لرواية "ميلسون هادي"، وجدنا أن الروائية رصدت جذور الصراع الطائفي خلال أيام الاحتلال الأمريكي ومابعدها، وصولا للحرب الأهلية القائمة بين أهل السنة و أهل الشيعة فتجلى فيها ذلك التنوع المذهبي،كما كشفت فيها عن الويلات و الآلام التي سببتها الحرب، و التي عانى منها الشعب العراقي، وبقيت مستمرة ليومنا هذا، لأن الوضع السياسي القائم بين السنيين و الشيعيين لا يزال مصيره غير واضح، إذا كان الصراع الطائفي سيد الموقف في كل زمن.

- في روايتنا هناك عدة تيارات مختلفة قامت بإيصال الفكرة للقارئ بواسطة شخصيات متحركة ساهمت في نشأة الحدث الروائي، فاختلفت عقائدها ومذاهبها بين السنيين والشيعيين إضافة إلى المسيح منهم.

- توصلنا من خلال دراستنا لعنصر الزمان في هذه الرواية على أن هذا الأخير قد ورد فيها بأبعاده الثلاثة الوقائعي و الفني و النفسي .

- إن الزمن الوقائعي في رواية" أخوة محمد" كان مسيطرا عليها و هذا يعود لكونه يسرد أحداث من الواقع المعاش ، أما الزمن الفني فقد تداخلت فيه الأزمنة الثلاثة ماضي و حاضر و مستقبل و نجد أيضا الزمن النفسي فيها فقد كان يعبر عن ألام و أحزان الشخصيات من جهة و أملها و فرحها من جهة أخرى.

- اتبعت الروائية في دراستها الرجوع إلى الوراء من خلال الزمن الماضي و ذلك بتكثيفها لتقنية الاسترجاع و الاستذكار على عكس الاستباق الذي لم ترد منه إلا القليل ، فالزمن في الرواية مضطرب نوعا ما .

- جاءت الرواية حاملة لعنصر المكان إذ نجده قد تنوع بين أماكن مختلفة منها مغلقة و أخرى مفتوحة و كانت كلها مساهمة في رصد حركة الشخصيات و بناء هيكل الرواية.

إن هذه النقاط كانت أهم ما توصلنا إليها من خلال دراستنا لهذا الموضوع، في حين يبقى المجال مفتوح لمزيد من البحث و التعمق فيه.

و في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر القليل في إنجاز هذا البحث البسيط و المتواضع.

قائمة المصادر و المراجع

I/المصادر:

1-ميسلون هادي،"أخوة محمد"، الذاكرة للنشر و التوزيع، بغداد، (دط)،(2018).

II/المراجع:

أولا: قائمة الكتب العربية

1-إدريس بودبية: الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار، منشورات شركة أشغال الطباعة، قسنطينة، الجزائر ،(ط1)، (2000).

2-الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، (دراسة في روايات نجيب كيلاني)، دار العلم للكتب الحديثة، عمان، الأردن، (ط1)،(2000).

3-العميان،محمود سليمان:السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان، للمملكة الأردنية الهاشمية،(ط3) ،(2005).

4- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان،(ط1) (1990).

5 -حسام كصاي حسين، الطائفية صدمة الإسلام السياسي،أمواج للنشر و التوزيع، الأردن، (ط1)، (2015).

6- حنان محمد موسى حمودة:الزماكانية و بنية الشعر المعاصر، (أحمد عبد الله المعطي نموذجا)، جدار الكتاب العلمي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، (ط1)،(2006).

7- سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،(دط)، (1984).

8-عبد الحميد بورايو: منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(دط)،(1994).

9-عزمي بشارة، الطائفة الطائفية، الطوائف المتخيلة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، (ط1)، (2018).

10-محمد بوعزة :تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم،(ط1)،(2010).

11- محمد عبد الله القواسمة: البنية الروائية في رواية الأخدود، (مدن ملح) بعيد الرحمان منيف، مكتبة المجتمع العربي للنشر و التوزيع، الأردن، (ط1)، (2009).

12- محبوبة محمدي، محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق،(ط1) ،(2011).

13- مفيد شهاب:" الطائفية مفهومها، دوافعها، خطورتها"، في كتاب عثمان الدلنجاوي،مصر (2010) ، أحوال مصر: Ktbin،(2011).

14- مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامينة حكاية بحار الدقة المرفأ البعيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (دط)،(2010).

15- ياسين النصير: الرواية و المكان، (دراسة المكان الروائي)، دار نينوي للنشر و التوزيع، دمشق، سوريا، (ط2)، (2010).

ثانيا: قائمة الكتب المترجمة إلى العربية

1- جاستون باشلار: جماليات المكان في الرواية العربية، تر: غالب هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، (ط2)،(1984).

2- مندلاو: الزمن و الرواية، تر: بكر عباس، دار الشروق، عمان ، (ط1)، (1997).

ثالثا: الكتب ذات التأليف الجماعي

1- دراسات في القصة العربية، وقائع أدباء ندوة مكناس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (ط1)، (1986).

رابعا: المعاجم

1- أحمد مختار عمر، معجم اللغة المعاصرة، عالم الكتب للنشر و التوزيع، القاهرة ، (ط1)، (2008).

2-جمال الدين محمد بن كرم ابن منظور، معجم لسان العرب، ج9، دار صادر، بيروت، (ط1)، (2005).

3- مجموعة من المؤلفين، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، (ط4)، (2004).

4- مجموعة من المؤلفين بالقاهرة، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير الطابع و النشر، القاهرة، (ط1)، (1989).

5- مجموعة من المؤلفين بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، الدولية، مصر، (ط1)، (1960).

6- محمد التونجي، المعجم المفصل،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط2)،(1999).

خامسا: الرسائل الجامعية

1-أحمد شريبط :الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف د /محمد مصايف، معهد اللغة العربية و الأدب العربي، جامعة الجزائر، (1986-1987).

2- حامد علي أبو معمر: علاقات الاتصال الإداري بأساليب إدارة الصراع التنظيمي "حالة تطبيقية على مديري المدارس الحكومية في محافظات غزة"، رسالة ماجستير، إشراف د /فارس محمود أبو معمر، كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال، الجامعة الإسلامية، غزة، (2012).

3- مها القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، مجلة إبتسامة، نسخة منسقة، (2002).

سادسا: المجلات العلمية

1- إيمان موسى صافي: ظاهرة النزاع في المنظمات، مجلة معهد الإدارة العامة، الرياض، (ع20)، (1977).

2- الأسبوع الأدبي، مجلة أسبوعية يصدرها اتحاد العرب الكتاب العربي، دمشق، سوريا، ع(449)، (1995/02/02).

3- الشخصية في العمل الروائي، مجلة فيصل، دار الفيصل الثقافية للطباعة العربية، السعودية،ع(37)،(جوان 1980).

4- المسألة الطائفية، صناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، مجلة عمران، للعلوم الاجتماعية و السياسية، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسيات، لبنان،ع(3/11)، (2015).

سابعا: المواقع الإلكترونية

1- أسعد سليمان، العراق جذور الصراعات الداخلية، المعهد المصري للدراسات السياسية و الإستراتيجية، ملفات إقليمية،(4 ماي2017).

Https://eipsw.eg.org

2- حيدر جمعة العابدي، الرواية العراقية مابعد2003، رواية الصراع الطائفي، صور السياسي و الديني، الحوار المتمدن، العدد(55-36)

Https://mahewr.org 17:10/30/05/2017

3- شروق إياد خضير، الطائفية وإشكالية الهوية و الاندماج، المسألة الطائفية وصناعة الأقليات في المشرق العربي الكبير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (13-14-15 سبتمبر 2014).

4- صادق الطائفي، في الطائفية و الصراع الطائفي، القدس العربي، (24 نوفمبر2015).

Http://www.alquds co.uk

5- ماهر مسعود، الطائفية و الطغيان بحث في المعنى و السلطة (20أفريل2018).

WWW.alaaham.org

فهرس
الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	**أ، ب، ت**
تمهيد: الصراع الطائفي والنص الروائي	
أولا: مفهوم الصراع	06
أ – لغة	06
ب-اصطلاحا	07
ثانيا: مفهوم الطائفية	08
أ – لغة	08
ب – اصطلاحا	09
ثالثا: مفهوم الصراع الطائفي	12
رابعا: جذور الصراع الطائفي	13
خامسا: تجليات الصراع الطائفي في الرواية العراقية	16
الفصل الأول: القناعة العقائدية والتوجه الفكري للشخصية في رواية"أخوة محمد"	
أولا: مضمون رواية" أخوة محمد "	20
ثانيا: دراسة أبرز الشخصيات الواردة في رواية" أخوة محمد "	25
1 –الشخصيات الشيوعية	25
2-الشخصيات السنية	27
3-الشخصيات المسيحية	30

الفصل الثاني: زمن الطائفية واحتدام الصراع في رواية" أخوة محمد"	
أولا: الزمن الوقائعي	33
ثانيا: الزمن الفني	37
1-زمن الماضي	38
2-زمن الحاضر	41
3-زمن المستقبل	42
ثالثا: الزمن النفسي	43
الفصل الثالث: فضاء الصراع الطائفي في رواية" أخوة محمد"	
أولا: أماكن مغلقة	49
1-البيت	50
1-1-الغرفة	53
1-2-المطبخ	55
1-3-السرداب	56
2-السجن	57
3-الجامعة	58
ثانيا: أماكن مفتوحة	58
1-الشارع	59
2-الحديقة	61

خاتمة	65
قائمة المصادر والمراجع	68
فهرس الموضوعات	73

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن التطور الذي حصل في موضوعات الرواية العراقية بعد الاجتياح الأمريكي الثاني لدولة العراق، وما أنجز عنه من مخلفات وآثار سلبية أنهكت العراق على مستوى البنية التحتية و الفوقية الأمر الذي أدى إلى استفحال الصراع بين أبناء الوطن الواحد بغية إيجاد حل للأزمة التي يتخيطون فيها.

وتتحدد مدونة هذه الدراسة في رواية واحدة هي "أخوة محمد" للكاتبة "ميسلون هادي" ، وفيها تصور وضع بلادها بعد الاحتلال الأمريكي واستفحال العصبية الدينية و العرقية بين أبناء وطنها،وأنجز عن ذلك تصادم، تشرد و هجرة وتدمير للاقتصاد وحالة من الفراغ السياسي، وكل هذا عمق إحساسها بالنقمة على أوضاع بلدها وإدانة كل ما جرى فيه، وهذا بمثابة دعوة صريحة إلى النهوض بالبلد وإصلاح أحواله وذلك بنبذ الطائفية.

الكلمات المفتاحية:الصراع الطائفي ، الرواية العراقية، أخوة محمد ،ميسلون هادي .

The summary:

This research aims at revealing the development that occurred in the topic of the Iraqi novels after the second American invasion of Iraq and the negative impact it resulted that exhausted both the infrastructure and superstructure of Iraq. The later led to the exacerbation of conflicts between the people of the same country to find a solution to the crisis in which they are plotting .

This study is based on one novel"the brothers of Mohamed" by the writer Maysloon Had, in which she depicts the situation of her country after the American occupation and the exacerbation of the religious and ethnic fanaticism among her countrymen, and the collision displacement , emigration , destruction of the economy and a state of political vacuum . All of this deepened her sense of resentment over the conditions of her country and condemnation of everything that happened in it. This is an explicit call for the advancing of the country and reforming its conditions by rejecting sectarianism.

Key words: sectarian conflict ,Iraqi novel , the brothers of Mohamed ,Maysloon hadi